الموسوعة التاريخية
للخلفاء الفاطميين

الخليفة السابع:

الظاهر لإعزاز دين الله

تأليف
عارف تامر
دكتور في الآداب



دار
الجيل

الطبعة الاولى
١٩٨٠ م ـ ١٤٠٠ هـ

الخليفة الفاطمي السابع

اسمه : «الظاهر لاعزاز دين الله» لقبه : «علي» كنيته : «أبو الحسن» .

ولد في القصر الفاطمي بالقاهرة «المعزّية» في ١٠ رمضان سنة ٣٩٥هـ . . . تولى الخلافة بعد حادث اغتيال والده «الحاكم بأمر الله» في اليوم الأول من عيد الأضحى أي في العاشر من ذي الحجة سنة ٤١١هـ ، وذلك بعد ستة أسابيع من اختفاء والده وكان له من العمر سبعة عشر عاماً .

توفي سنة ٤٢٧هـ «بعين شمس» بعد حكم استمر ستة عشر عاماً ، وكان له من العمر اثني وثلاثين سنة . كان له أخ أصغر منه اسمه «الحارث — أبو الأشبال» توفي في عهد والده أي سنة ٤٠٠هـ ، وكان له شقيقة صغرى اسمها «ست مصر» .

المصادر التاريخية جميعها أجمعت على القول :

البيت الفاطمي من تهم باطلة كقولهم . . . انهم يعطفون على هذه الفئة ويشجعونها ويتبنون عقائدها ، فكانت أوامره صارمة بإبطال دعواهم والقضاء عليها ، وإبادتهم إذا ما استمروا على غواياتهم .

تميّز عهده بالسكينة والسلام والرفاه العام والرويّة والاعتدال في باديء الأمر ، ولكنه ساء أخيراً وتردّى ، فذهبت هيبة الدولة ، وضاع القانون ، وأصبح الحكم للعصابات الخارجة على القانون تسرح وتمرح دونما خوف ، وتهدد حياة الآمنين .

أعطى الخليفة « الظاهر » الشباب حقه من الحرية والإنطلاق والاستمتاع تاركاً لعمته إدارة شؤون الدولة . . . وبالفعل قامت بالمهمة خير قيام ، وأدارت دفة الأمور بنباهة وذكاء وقوة وعزم . وكان « الظاهر » قد أصدر مرسوماً سمّاها فيه — « نائبة الخليفة » وفوّض إليها التصرف بأمور الدولة كما تشاء . ولكن ذلك لم يستمر طويلاً إذ أن المنية فاجأتها سنة ٤١٤ هـ عن عمر ناهز الخامسة والخمسين ، وبعد وفاتها بدأت الأحوال العامة الداخلية والخارجية تتدهور مما أزعج الخليفة الشاب الطري العود . وجعله في وضع مضطرب حائر لا يجد من يسد الفراغ .

ذكر التاريخ :

ان باكورة أعمال الخليفة « الظاهر » بدأت بإعطائه الحرية التامة المطلقة لكافة الفرق والأديان بممارسة طقوسهم الدينية كما يشاؤون ... كما ألغى قرارات عديدة كانت قد صدرت بعهد والده . وخاصة ما كان منها خاصاً بالحالة الاقتصادية للدولة ، فألغى الكثير من المنح والاقطاعات والرواتب والمخصصات والأرزاق التي قررهـا « الحاكم بأمر الله » . والتي كانت تشكل عبئاً ثقيلاً على خزينة الدولة ، وأشاع العدل والقانون في جميع الارجاء مما أعاد إلى الأذهان سيرة الخليفة الفاطمي الرابع — « المعز لدين الله » — ولهذا فإن غالبية الشعب المصري وخاصة الطبقة الراقية محضته الثقة وأولته الطاعة ، ودانت له تمام الإدانة ، ولكن كل هذا لم يقف أمام تفاقم الأحداث ، وازدياد الاضطرابات ، وتعرض البلاد إلى سوء الأحوال الطبيعية ، والآفات السماوية .

أجل . . . تسلّم الخليفة « الظاهر لاعزاز دين الله » شؤون الخلافة وهو في سن الشباب ، فحمل الأمانة مكرهاً ، واضطلع بالمسؤولية مجبراً ، وكانت التركة ثقيلة جسيمة . والأيام حبلى بالحوادث والمفاجئات .

صحيح . . . ان عمته « ست الملك » أخذت الحمل عنه ولفترة قصيرة . ولكن القدر لم يمهلها . فماتت مأسوفاً على براعتها وحدبها وسهرها . . . ومما لا ريب فيه أن الخليفة « الظاهر » مدين لعمته بالملك التي حافظت وسهرت عليه وكأنّ الله قيضها له بعد الصدمة الأليمة التي ألمّت به اثر حادث اختفاء والده . فكانت هذه السيدة النابهة التي تعهدته وأشرفت على تربيته وتأديبه هي التي أوصلته للملك وما زالت تتعهد أيضاً بالسهر على شؤون الدولة وإدارة أمورها بنباهة وجرأة واستحقاق حتى آخر نفس من حياتها . ومما تجدر الإشارة اليه ان « عمّار بن محمد » رئيس الرؤساء أو خطير الملك . . ساهم مساهمة مخلصة بإيجاد المناخ الصالح لخلافة « الظاهر » . . . وكان وقت اختفاء الحاكم يشغل وظيفة رئيس ديوان الانشاء والمشارقة والاتراك .

تزوّج الخليفة « الظاهر » أمة سوداء كانت لتاجر يهودي اسمه « سهل بن هرون التُستري » وقد ابتاعها « الظاهر » منه فولدت له « المستنصربالله » الذي تسلّم الخلافة بعد والده . أما « التُستري » فقد ذكرت المصادر التاريخية أنه لعب دوراً عظيماً بعهد الخليفة الثامن « المستنصر بالله » مستغلاً صداقته لوالدة الخليفة .

وزراء الخليفة الظاهر

من المعلوم أن المدة التي قضاها الخليفة « الظاهر » في مقعد الخلافة كانت قصيرة بالنسبة لاسلافه ، لهذا فإن عدد الوزراء الذين استخدمهم لم يتجاوز عددهم أصابع اليد . . . وها هو ترتيبهم :

١ ــ « عمّار بن محمد » :

رئيس الرؤساء أو خطير الملك . . . « أبو الحسن » . . . مسلم فلسطيني . . . ساهم كما ذكرنا بإيجاد المناخ الصالح لخلافة « الظاهر » ، وعندما اختفى « الحاكم بأمر الله » كان يشغل وظيفة رئاسة ديوان الانشاء والمشارقة والاتراك ، فوضع نفسه تحت تصرف « ست الملك » وقاد الحملة التي هيأت الأجواء الصالحة للخليفة الجديد « الظاهر » ، ولكن مع كل أسف اتهم في آخر المطاف بتهمة الرشوة وسرقة أموال الدولة فحوكم وأعدم .

٢ — « موسى بن الحسين » :

بدر الدولة ، وأبو الفتوح . . . كان يتولّى الشرطة ثم ولّي ديوان الانشاء بعد « ابن خيران » . . كان شيعياً فارسياً . . . ولكن المدة التي بقي فيها بالوزارة كانت قصيرة . . . مات اغتيالاً . . . وترك ثروة طائلة .

٣ — « مسعود بن طاهر الوزّان » :

هو الأمير شمس الملوك المكين . . . مسلم فارسي . . . لم يستمر طويلاً في الوزارة .

٤ — « الحسين بن صالح الروذباري » :

عميد الدولة وناصحها « أبو محمد » مسلم عراقي . . . هو ابن الوزير « صالح بن علي الروذباري » الذي كان وزيراً بعهد « الحاكم بأمر الله » .

٥ — « علي بن أحمد الجرجرائي » :

نجيب الدولة أو الوزير الأجل الأوحد — صفي أمير المؤمنين — أبو القاسم — فاطمي . . . كان عالماً قديراً وعبقرياً فطناً . . . خدم الأسرة الفاطمية بإخلاص فهو الذي أخذ البيعة

« للمستنصر بالله » في حياة والده « الظاهر » . . . وكان ابن ثمانية أشهر .

٦ — « قاسم بن علي بن أحمد الجرجرائي » :

من الرجال القلائل المخلصين للدولة الفاطمية وللخليفة ... عمراني عمل على توسيع مدينة« القاهرة » المعزّية وشق شوارعها وإقامة الحدائق والساحات والمباني . . . كما نهض بالزراعة ، وعمل كثيراً لخير الدولة الفاطمية ، ولكن الاقدار عاكسته.

ومن الاشخاص المرموقين الذين لعبوا دوراً مهماً في عهد الخليفة « الظاهر » الخادم الأسود « معضاد » الذي عينه لقيادة الجيوش ولقبه بعز الدولة وسنائها « أبي الفوارس » « معضاد الظاهر » ، ويقال أن معضاد كان من أقرباء زوجة الخليفة « الظاهر » .

كان مقرباً جداً من الخليفة أو ثالث شخص في الدولة يسمح له بالدخول على الخليفة متى شاء ، ومثله مثل الشريف الكبير « العجمي » والوزير « علي الجرجرائي » والشيخ العميد « محسن بن بدوس » ويأتي بعدهم : شمس الملوك « مظفر » صاحب المظلة و « ابن حيران » صاحب ديوان الانشاء ، وداعي الدعاة ، ونقيب الطالبيين ، وقاضي القضاة .

أوضاع الدولة الخارجية

المغرب

كانت الأوضاع في المغرب في أواخر عهد الخليفة « الحاكم بأمر الله » تسير في طريق مسدود وغامض بالنسبة للدولـــة الفاطمية « فباديس بن بلكيّن بن زيري » بالرغم من بقائه على الولاء للفاطميين بالظاهر . فإنه في الباطن استأثر بكافة الصلاحيات ، وقضى على البقية الباقية من النفوذ الفاطمي في الديار المغربية بحيث لم يبق لهم إلاّ الاسم على العملات . وفي الخطب التي تردد في المساجد . ولدى بعض الاتباع العقائديين الذين اعتنقوا المذهب الفاطمي . وقد عرف « الحاكم بأمر الله » كل هذا ، ولكنه وهو في خضم الاحداث اراد الابقاء على العلاقة مع « الزيريين » ولو شكلياً رغم علمه أن هيبة الدولة الفاطمية ونفوذها لم يعد لهما وجود في ديار المغرب . واذا كان قد ظلّ حريصاً على إبقاء العلاقات الودية فلأنّ إمكانيات الدولة لم تكن تتحمل الدخول في معارك بشأن المغرب في ذلك الوقت.

وعندما تسلّم «الظاهر لاعزاز دين الله» شؤون الخلافة ، هبطت وفود عديدة من المغرب تمثل القبائل والهيئات ذات الأهمية والفعالية . وهي تحمل لخليفة مصر التهاني والمبايعة ، ولكن ومع كل هذا فان الاعتقاد ظل سائداً بأن المغرب لم يعد البلد الذي يمتلكه الفاطميون أو يحكمونه مباشرة .

أجل . . . عرف «الحاكم بأمر الله» كل هذا في وقت لم تكن الظروف والاحداث الداخلية والمشرقية تساعد على التفرغ لشؤون الاقطار المغربية . . . وكان الحاكم قد خطط لعملية أراد تنفيذها لو أن الأقدار ساعدته وهي : العودة إلى حكم المغرب بطريقة الإقامة ستة أشهر في المغرب ، وستة أخرى في القاهرة . ولكن الأجل لم يمهله ، والأقدار لم تساعده ، وقد روى ذلك مؤلف كتاب «عيون الاخبار» . . . «أدريس عماد الدين» .

ومهما يكن من أمر فإن «بلكيّن بن زيري» هو أول مغربي فكر باستقلال المغرب عن الدولة الفاطمية ، وقد مرّ معنا أن ولده «باديس» مرّ في القاهرة بطريقه إلى الحج ، واجتمع إلى الخليفة «الحاكم بأمر الله» ، وتظاهر بالابهة والعظمة والاستعلاء . ولكن الحاكم قابله بتناسي المشهد المخصوص والسماح والرغبة في البقاء على ارتباطه ولو شكلياً برباط الود التقليدي بالدولة الفاطمية .

وممّا يجب أن يذكر :

ان الاختلال الداخلي قد ذرّ قرنه في المغرب بين أسرة « الزيريين » الحاكمة ، فإن « باديس » قد شن حرباً على أبناء عمه « الحمّاديين » بسبب دعوتهم إلى الاستقلال التام والارتباط بالعباسيين ، وكأن « باديس » قد تناسى نصيحة « المعز لدين الله » لجده « بلكيّن » يوم قال له وهو يودعه عندما ترك المغرب وجاء إلى مصر .

« أحذرك بأن لا تولي أحداً من أسرة « الزيريين » أية وظيفة في الدولة ، ولكن « باديس » خالف الوصية وعهد لعمه « حمّاد بن بلكيّن » بالدفاع عن المغرب الأوسط ضد « البربر زناتة » سنة ٣٨٦هـ ، فقام ببناء القلاع والحصون والاستحكامات ، وبعد فترة أعلن الخروج عن طاعة ابن أخيه ، وأعلن سنة ٤٠٥هـ عن قيام دولة مستقلة ، وأخذ يشجع « زناتة » في طرابلس ــ الغرب على الخروج على « باديس » ومما يجب أن يذكر أن « حمّاداً » كان جباراً وسفاحاً يقتل الاطفال والأسرى والنساء ويعيث فساداً في كل مكان يدخله . فخلفه ابنه « المعز بن باديس » الذي بدأ عهده بعقد صلح مع «حمّاد » والإبقاء على ما في يديه .

أمّا بالنسبة للفاطميين فإن عوامل الفتور بين « الزيريين »

والفاطميين تبدو قديمة . وقد بدأت في مستهل عهد « المعز لدين الله » عندما بدأ بعض « الزيريين » وتابعيهم ينقضون عهودهم ، ويعودون إلى اعتناق المذهب السني بعد أن كانوا قد اعتنقوا المذهب الفاطمي الشيعي .

ولكي نستقصي أسباب التحول عن مذهب الفاطميين ، علينا أن نعود إلى عقيدة أهالي شمالي افريقيا قبل مجيء الفاطميين ، فمن الواضح أن هذا الاعتقاد القديم كان يقوم على مذهب « أبي حنيفة » ولكن « سحنون بن سعيد » الذي قدم إلى « القيروان » سنة ١٩١هـ ألّف كتاباً في المذهب المالكي ، دعا الناس فيه إلى اعتناق هذا المذهب لأنه يتفق وطبائع أهل شمالي افريقيا . وبالفعل لاقى الكتاب اعتباراً كبيراً وأثّر في الأفكار بحيث اعتبر فيما بعد أساساً للعقائد الدينية السائدة في تلك البلاد .

ومهما يكن من أمر فلا بد من القول : بأن أهل افريقيا الشمالية أيّدوا الفاطميين لرغبتهم في التخلص من حكم الولاة العباسيين من جهة ، وللتخلص من الفوضى الضاربة أطنابها في بلادهم من جهة أخرى . أما بعد رحيل الفاطميين من المغرب إلى الديار المصرية فان « الزيريون » نواب الفاطميين أصبحوا وحدهم يمثلون المذهب الشيعي في عاصمتهم

« المنصوريّة »، أمّا في القيروان وغيرها من مدن المغرب فقد كان المذهب المالكي هو السائد — ولا شك فان ضعف المذهب الفاطمي وصل إلى الحد الأقصى من الانهيار بعد الثورتين المشهورتين وهما : ثورة « أبو يزيد » الخارجي، وثورة « أبو ركوة » وقد ذكرنا في الأجزاء السابقة تفاصيلهما. كما لا يجب أن يغرب عن بالنا انقسام « الزيريين » على بعضهم البعض . وانحياز الفريق الثاني « الحماديين » للسنة ، وتصاديهم للشيعة حتى في عاصمة الفريق الأول « المنصوريّة »

أمّا « المعز بن باديس » الذي تسلم الإمارة في المغرب وهو ابن ثماني سنوات فقد كان تحت سيطرة فقيه سني اسمه : « الحسن بن علي بن أبي الرجّال » الذي تمكن من تحويله عن فاطميته إلى متنكر لها .

ويذكر التاريخ :

ان سبب الفتور هو حدوث مصادمات بين السنة والشيعة في المغرب فقد ذكر أن الدم جرى غزيراً في شوارع القيروان ، فكان السنّيون يهاجمون الشيعة في الاسواق وفي كل مكان ، فيقتلون الأطفال والنساء والشيوخ دونما تمييز أو رأفة وقد سارت أغلب مدن المغرب على هذه الخطة . فثار الأهلون

على الشيعة وقتلوا منهم أعداداً كثيرة ، كما أحرقوا منازلهم بالنار ونهبوها . وأعملوا فيهم القتل عندما حاولوا الفرار إلى « صقلية » وكانوا يسمونهم «المشارقة» نسبة إلى « أبي عبدالله الشيعي » الذي جاء من المشرق ، وربما كان « المعز باديس » نفسه قد دعا الناس بالسر . وشجعهم على القضاء على الفلول الشيعية ، بعد أن تجرأ على تغيير العملات ونزع اسم الفاطميين عنهـــــا .

وبالرغم من كل هذا فإن الفتور لم يصل إلى حد القطيعة لأن « الزيريين » الفرع الأول كانوا سياسياً يعتمدون على تأييد العباسيين .

أمّا الخليفة « الحاكم بأمر الله » فقد أزعجه أن تصل الأمور في المغرب إلى هذا الحد ، فأرسل إلى « المعز باديس » يسأله عن الأسباب التي أدت إلى سفك دماء الأبرياء مـــن الشيعة بهذا الشكل الوحشي . فأجابه معتذراً وألقى اللوم على العامة الذين لم يستطع كبح جماحهم ، ومن جانب آخر نرى « المعز » يرسل إلى الخليفة « الحاكم بأمر الله » بشرى نهاية الدولة الأموية بالأندلس . فأرسل إليه الحاكم سيفاً مرصعاً بالجواهر وخلعة من ثيابه وتبادلا رسائل الود .

الاحداث في المشرق

في بلاط الدولة الفاطمية ، وفي القاهرة المعزية ، وفي ردهات قصر الخليفة « الظاهر لاعزاز دين الله » ، ولدى الخاص والعام ، وفي أوساط عائلة الخليفة كان الاعتقاد سائداً بأن مقتل الخليفة « الحاكم بأمر الله » واختفاء جثمانه تمّ على أيدي جماعة الغلاة الذين نادوا بألوهية الحاكم ، وهذا كان له أبلغ الأثر في نفس الخليفة « الظاهر » ، وولّد لديه شعوراً غريباً ورغبة بالانتقام من هذه الجماعة الملحدة الخارجة التي استوطنت بلاد حوران وضواحي حلب وفي بعض المدن المصرية ، وهذا ما جعل الخليفة « الظاهر » يصدر أوامره بضرورة استئصال جذور هذه المجموعة وإبادتها إبادة تامة إذا لم ترتدع عن غيّها ، وقد كان من تأثير هذا الشعور أن أذاع سجلاً أو مرسوماً صدر عن القصر الفاطمي سنة ٤١٤هـ. وهذا بعض ما جاء فيه كما ورد في كتاب « النجوم الزاهرة » للصابي :

« وذهبت طائفة إلى الغلو في أبينا أمير المؤمنين » علي بن أبي طالب » . . . غلت وادعت فيه ما لا يصدقه العقل ، ونجمت من هذه المجموعة الكفرة فرقة سخيفة العقول ضالّة بجهلها عن سواء السبيل ، فغلوا فينا غلواً كبيراً وقالوا في آبائنا وأجدادنا منكراً من القول وزوراً . . . نسبونا بغلوهم الأشنع وجهلهم المستفظع إلى ما لا يليق بنا ذكره . . . وأنّا لنبرأ إلى الله تعالى من هؤلاء الجهلة الكفرة ونسأل الله أن يحسن معونتنا على إعزاز دينه وتوطيد قواعده وتمكينه والعمل بما أمرنا به جدنا المصطفى وأبونا علي المرتضى وأسلافنا البررة اعلام الهدى » .

وفي السجل يتبرأ الخليفة « الظاهر » من هذه المزاعم التي قيلت في أبيه وأسلافه ويؤكد اعترافه إلى الله بأنه وأسلافه الماضين وأخلافه الباقين مخلوقون اقتداراً ومربوبون اقتساراً لا يملكون لأنفسهم موتاً أو حياة ولا يخرجون عن قبضة الله تعالى وانّ من خرج منهم عليه لعنة الله .

وقدّم في مرسومه إنذاراً يدعو هؤلاء إلى التوبة إلى الله من الكفر وينذرهم بوضع السيف على رقاب من يصر على البقاء على الكفر ، كما يعد التائبين والراجعين إلى الصواب بالعفو .

هكذا بدأ الخليفة « الظاهر » عهده في بلاد الشام ، فقد هاله أن يقوم بين رعيته من أعماهم الجهل فينظرون إليه وإلى آبائه وأجداده وكأنهم آلهة ، وفي هذا ما فيه من الكفر والشرك والالحـــــاد .

ويذكر التاريخ :

أن الخليفة « الظاهر » كان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الفرقة الجاهلة التي اعتقدت بألوهية« الحاكم بأمر الله »» هي نفسها التي دبرت مؤآمرة اغتياله وإخفائه لكي تدعم اعتقادها بأسطورة خيالية تبدو فيها قصة الاختفاء والعودة ثانية عندما يحين الاوان ليملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

من هنا فإنّ العقاب كان قاسياً ومريراً وخاصة في بلاد « حوران » ووادي « التيم » بحيث أن اوامر الخليفة كانت قاسية فهي تلزم الجنود الذين انطلقوا إلى تلك القرى بأن يحكموا السيف في الرقاب دونما تمييز . وهكذا نفذت الاوامر بقتل الأطفال والنساء والشيوخ . وهدم المنازل على الرؤوس . . . فذهب الصالح بجريمة الطالح ومات المذنب والبريء معاً ، أمّا الذين سلموا فقد تفرقوا في المدن الأخرى بعد أن خربت منازلهم ولم يسمح لهم بالعودة إلا بعد أن أعلنوا التوبة .

هذا بالنسبة للغلاة ، أمّا بالنسبة للأوضاع العامة في بلاد الشام . التي لم تعرف الاستقرار ، ولا ذاقت جفون أبناءها طعم الهدوء منذ أن حطّ الفاطميون الرحال فيها ، وقد مرّ معنا في الأجزاء السابقة تفاصيل ما حصل فيها من حروب ، وما أهرق في ساحاتها وميادينها من دماء ، وما مثّل على مسارحها من مشاهد تقشعر لذكرها الأبدان . أمّا في عهد الخليفة « الظاهر لاعزاز دين الله » . . فقد ذكر التاريخ :

أنه في عهد « الظاهر » فكّر « فاتك الوحيدي » . . عزيز الدولة أو أمير الأمراء بالعصيان والاستقلال بحلب وما يتبعها مستغلاً بذلك غياب الخليفة « الحاكم بأمر الله » ، وصغر سن الخليفة « الظاهر » ، ولكن « ست الملك » أغرت خادمه « بدر » فدبّر قتله ، ونفّذ المؤامرة عندما كان سكراناً ، فتولّى ولاية حلب مكانه مكافأة له ، ولكنه مع كل أسف لم يستمر سوى بضعة أيام لأن « ناصر بن صالح بن مرداس » الذي كان سجيناً فرّ من سجنه وظهر على مسرح الاحداث من جديد وكان في أول أمره على علاقة طيبة بالفاطميين ، ولكنه عاد فنكل . . ثم أنه استولى فيما بعد على حلب وما يتبعها من القرى والبلدان .

والمرداسيون هم جماعة من الشيعة أقاموا إمارتهم على

انقاض الإمارة الحمدانية فقد انطلقوا من مواطنهم ، وقاموا بحملتهم عندما انطفأ آخر شعاع للحمدانيين من وادي الفرات، فاستولوا على « حلب » ، ثم امتدوا بعد ذلك إلى « منبج » و « الرقة » و « الرحبة » ثم « حماه » و « حمص » و « صيدا » و « بعلبك » و « طرابلس » .

ومن مآثرهم أنهم انتصروا بإحدى المعارك على « أرمانس » ملك الروم في معركة فاصلة وقعت في شمالي سورية ، وقد عرف أن مؤسس إمارتهم هو: « صالح بن مرداس » أمّا « ناصر » فهو ولده وكان معاصراً للخليفة « الظاهر » .

أمّا بالنسبة للشام فقد ذكر التاريخ :

أن « حسّان بن جرّاح » تغلب على أكثر مدنها ، ولم يستطع أحد من عمال الفاطميين أو قوادهم المرابطين هناك صده أو الوقوف بوجهه . . . وكل هذه بوادر تدل على ضعف الدولة الفاطمية التي كانت تجتاز مرحلة الازدهار والسمو إلى مرحلة الانهيار والضياع .

في صقلية

هذه الجزيرة الكبرى التي ذكرنا في الأجزاء السابقة الكثير عنها والتي رغب الفاطميون بالابقاء عليها مرتبطة فيهم مباشرة بعد تركهم ديار المغرب .

هذه الجزيرة ظلّت رغم الاحداث المتلاحقة على ولائها للفاطميين ، فلم يفكر القائمون على حكمها بالتخلي ولو قيد أنملة عن الوفاء والاخلاص للدولة التي ينتمون إليها .

والحقيقـــة :

فإن الاسرة « الكلبيّة » التي كانت تحكمها حافظت على مبادئها بالنسبة للفاطميين ، ولم يفكروا بالاستقلال عنهم أو الخروج على المبادىء ونزع سلطة من لهم عليهم الحقوق والخدمات والرعاية .

طلائع دولة فاطمية في اليمن

بدأ النشاط الفاطمي في اليمن منذ عهد الإمام الفاطمي المستور «الحسين بن أحمد» ولكن كان ذلك على نطاق ضيق. والحقيقة: فإن الحركة لم تظهر كقوة ذات فعالية وتأثير إلا في عهد الخليفة الفاطمي الأول «عبيد الله المهدي» ففي تلك الفترة كانت اليمن تابعة للدولة للعباسية، وكان الولاة يتعاقبون عليها من قبلهم، وكانت صنعاء حاضرة لهم، ولكن الأمور لم تكن مستقرة استقراراً تاماً لأن السلاطين والأمراء اليمنيين كانوا يتنافسون فيما بينهم في سبيل تولي الحكم، وكذلك في جزيرة العرب بصفة عامة كانت الأمور غير مستقرة، وبسبب الثورات التي قام بها العلويون في بلاد الحجاز واليمن، وبسبب ظهور «القرامطة» في بلاد «البحرين» وبسط سلطانهم على «اليمامة» و «عمان» ومخططاتهم التي كانت تهدف إلى قلب أنظمة الحكم السائدة في العالم الإسلامي.

وقد كان لهذه الاحداث أثراً غير مرضٍ في الجزيرة العربية بأسرها ، فصارت في شبه عزلة . . . كما تأخرت في النواحي الإقتصادية والعلمية ، ولم يكن في تلك الأيام وحدة سياسية في بلاد اليمن بصفة خاصة تجمع شمل الأقاليم والولايات التي أنهكتها المنافسات الداخلية ، والاختلافات المذهبية تحت لواء واحد ، وهدف واحد ، وكانت الولايات في هذه البلاد شبه مستقلة عن الدولة العباسية إدارياً وسياسياً وذلك لضعف الخليفة العباسي عن حربها . ولكنها لم تستطع الاستقلال عنه دينياً ، لأن الولاة كانوا لا يستغنون عن بيعة الخليفة لتثبيت سلطانهم ، فكان « بنو زياد » يقيمون في « زُبيد » وهم من ولد « عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان » وقد ولي « محمد بن زياد » اليمن من قبل الخليفة المأمون العباسي سنة ٢٠٣هـ.

وكان « بنو يعفر » في « صنعاء » وهؤلاء قامت دولتهم في اليمن في أواخر عهد « المتوكل » العباسي ، وكان جدهم « عبد الرحيم بن ابراهيم الحوالي » نائباً عن « جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي » الذي كان والياً للخليفة العباسي « المعتصم » على « نجد » واليمن ، ولمّا توفي « عبد الرحيم » خلفه ابن « يعفُر » وهو رأس الدولة وباعث استقلالها سنة ٢٤٧هـ. واستمر اعقابه في « صنعاء » حتى سنة ٢٨٧هـ. ويرجع نسبه

إلى التبابعة من « حمير » ، ثم أن بني « يعفر » دخلوا تحت سيادة « بني زياد » حيث استمر حكمهم إلى حين اقدام « أبو الجيش اسحاق بن ابراهيم » على خلع طاعة العباسيين سنة ٢٨٩ — ٢٩١ هـ.

ومن الجدير بالذكر أنه وقعت في عهده أحداث رهيبة وحلّت عوامل القلق والاضطراب مما أدّى إلى عدم الإستقرار وفقدان الوحدة السياسية التي من أهمها ظهور « الإمام الزيدي » المعروف بـ « الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرسّي » سنة (٢٨٠) هـ الذي نزل « صعدة » لنشر دعوة الإمام « زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب » وقد تبعه عدد غير قليل من القبائل التي كانت ميّالة بالفطرة إلى التشيع . فصارت الزيديّة من يوم ظهوره من أهم العناصر في حياة اليمنيين ، وهكذا أصبح في بلاد اليمن بعد ظهور « منصور اليمن » سنة ٢٦٨ هـ أربع ولايات .

الزيادية في « زُبيد » واليعافرة في « صنعاء » وبنو الرس في « صعدة » — والفاطميّة تحت قيادة « منصور اليمن » و « علي بن الفضل » .

وقد أدّى هذا الاضطراب السياسي إلى نزاعات وحروب

متواصلة بين الولايات أو بلغة أصح بين زعماء كل ولاية مما زاد الطين بلّة ومهّد لقيام الدولة الفاطمية «الصليحيّة» التي ظهرت في اليمن سنة ٢٦٨ هـ. وسارت على قواعد من التنظيم البارع ، واستطاعت أن تحكم اليمن وتوحد أجزاءه .

ونتيجة لظهور هذه الدولة واستيلاء الداعيين الفاطميين «منصور اليمن» و «علي بن الفضل» فيما بعد على معظم بلاد اليمن بالاضافة إلى ما قام به أتباع الأئمة الزيديين من حروب ، فقد اضطربت الأطراف على عامل العباسيين «أبي الجيش» وخرج زعماء البلاد كل في جهته إلى استنكار وجوده، ولم يسع «أبا الجيش» أمام هذه الانتفاضة إلاّ مهادنتهم واعترافه بما تحت أيدي كل منهم وذلك خضوعاً واعترافاً بسياسة الأمر الواقع ولم يكن بُعْد بلاد اليمن عن بغداد حاضرة الدولة العباسية إلاّ عاملاً رئيسياً خاصة وإنّ جماعة الشيعة كانت تلجأ في نشر دعوتها ومبادئها إلى الاستتار والبعد عن أعداء الدعوة - العباسيين - وأتباعهم بقدر الإمكان، وباتخاذ الأقطار البعيدة مكاناً لنشر هذه المبادىء وتعميمها ، وقد وجد دعاة الفاطميين في بُعد اليمن عن مركز الخلافة العباسية ببغداد وسيلة لتنفيذ مشروعاتهم ، وإقامة قواعد دعواتهم حتى يمكن القول بأن هذا البُعد بالإضافة إلى وعورة الطريق ، وطبيعة

البلاد اليمنية الجغرافية المعقدة . . . كلها كانت من أهم الأسباب التي حالت بين خلفاء العباسيين ، وبين توجيه الجيوش إلى اليمن لانقاذها من دعاة الفاطميين ، واكتفى الخلفاء بأن عهدوا إلى ولاتهم من جهة وتكليف زعماء البلاد من جهة أخرى بالقضاء على هذا التيّار الجارف . . . تيّار الحركة الفاطميّة ولكن الولاة كانوا من الضعف بمكان . وكان نزاعهم الدائم مع زعماء البلاد المتنافرين من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الحركة الفاطميّة ، ولهذا كان « لعلي بن الفضل » الحق بأن يقول عندما عرض عليه الإمام الفاطمي « الحسين بن أحمد بن عبدالله » الذي كان يقيم في بلدة « سلمية — سورية » بأن يقوم ببث الدعوة في اليمن : « والله أن الفرصة ممكنة في اليمن ، وان الذي تدعون إليه جاهز هنالك » .

هذا . . . ومن الواضح تاريخياً كما ذكرنا في أكثر من كتاب . . . أنه كان للدعاة الفاطميين خبرة ودراية باختيار الرجال الصالحين ، بقدر خبرتهم باختيار الأمكنة الملائمة لنشر التعاليم والأفكار . . . فاتخذوا من مواعيد الزيارة « للكوفة » حيث على مقربة منها ضريح «الإمام الحسين بن علي» وسيلة لنشر مبادئهم وفلسفة عقائدهم . . . فهناك ظفروا

« بمنصور اليمن » الذي قيل أنه ينتسب إلى « عقيل بن أبي طالب » وكان يدين بمذهب الإمامية الاثني عشرية الشيعية ، فتمكن الإمام الفاطمي « الحسين بن أحمد بن عبدالله » من تحويله إلى الفاطميّة في فترة وجيزة وهو القائل :

« وكان الإمام يخصني ويقربني ويرمز بقرب ظهور الأمر ودنو النصر » . وقال له :

« يا أبا القاسم . . . البيت يماني . . . والركن يماني . . . والكعبة يمانيّة . ولن يقوم هذا الدّين ويظهر الأمن قبل اليمن . . . يا أبا القاسم . . . هل لك في غربة في الله . . . قلت :

يا مولاي الأمر إليك فما أمرتني به امتثلته . . . قال : أصبر كأني برجل أقبل إلينا من اليمن . . . وما لليمن إلا أنت فقلت : استعن بالله على ما يرضيك »

وجاء « علي بن الفضل » وكان شاباً وسيماً من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار إلى الكوفة سنة ٢٦٧هـ . فتمكن الفاطميّون من ضمه إلى صفوف دعوتهم ، ثم مهدوا له السبل فذهب مع « منصور » إلى اليمن ويذكر التاريخ :

ان الإمام الفاطمي « الحسين » أوصى « ابن حوشب » أي « منصور » قبل ذهابه بقوله :

إلى « عدن لاعة » أقصد ، وعليها اعتمد فمنها يظهر أمرنا ، ومنها تعز دولتنا ، ومنها تفترق دعاتنا .

ثم أمره بالاستتار ، والاعتماد على علم التأويل ، واتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق أغراضه ، وأن يقول بقرب ظهور « المهدي » وان يجمع المال والرجال ، ويلزم الصوم والصلاة والتقشف ، وأن يعمل بالظاهر ، ولا يظهر الباطن . وأوصاه أيضاً :

إذا ورد عليك ما لا تعلمه . فاسأل من يعلمه ، وليس هذا وقت ذكره كما أوصاه « بعلي بن الفضل » خيراً بقوله : « انه شاب قريب عهد بالأمر فانظر كيف تسوس أمره . . . » ثم قال « لعلي بن الفضل » :

. . . ان هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم ، فانظر كيف تصحبه ، واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراه لك » .

وهكذا خرج الداعيان من « سلمية — سورية » إلى « القادسيّة » في نهاية سنة ٢٦٧ هـ . ويقول « منصور » :

لما ودّعت الأهل والأحبة متشوقاً إلى اقطاع الغربة توجهت ، فلما خرجت من « القادسيّة » أوجست خيفة ولكني سمعت حادياً يقول :

« يا حاديَ العيس مليح الزجر
بشّر مطاياك بضوء الفجر »

فسررت واستحسنت ذلك الفأل لمّا سمعته ، ثم وصلت « مكة » ومنها تابعت مع « علي بن الفضل » السير جنوباً حتى وصلنا سنة ٢٦٨هـ إلى بلدة « غلافقة » ، وكانت في ذلك الوقت بندراً لمدينة « زُبيد » على ساحل البحر الأحمر .

ثم افترقا على أمل أن يتصل كل واحد منهما بصاحبه ليتعرف إلى أحواله ، فاتجه « منصور » إلى مدينة « الجَنَد » وكانت غايته « عدن لاعة » ولمّا وصل إليها سأل عن الداعي الفاطمي « أحمد بن عبدالله بن خليع » الذي كان فيها ، فعلم أنه مات بالسجن عندما قبض عليه الأمير « ابن يعفر » . . . فنزل في داره وتزوج ابنته . . . وهذا يدل على أن الدعوة الفاطميّة تسربت إلى اليمن قبل وصول « منصور وابن الفضل » . والتاريخ هنا يوضح بأن الداعي الفاطمي السوري الكبير « أبا الفوارس » الذي استوطن سواد الكوفة وقام بأعمال باهرة هناك قد أنفذ ولده داعياً إلى اليمن ، فأظهر العجائب ودخل في دعوته خلق عظيم ، ثم مشى بالاقاليم فتحاً حتى أجلى بعض الأمراء عن حصونهم ومناطقهم ثم انه قاتـــل « القاسم بن أحمد بن يحي بن القاسم بن ابراهيم الحسيني الهادي »

وأزاله عن عمله في « صعدة » ففرّ منها بعياله إلى « الرسّ » ، وعندما أراد الجيش الفاطمي بقيادته وقتئذٍ إتمام مهمته بفتح البلدان والاقاليم أصيب وهو يجتاز احدى المناطق الجبلية بالبرد والثلج فهلك أكثرهم في ليلة واحدة ، وبعد ذلك مات الداعي الفاطمي « الصناديقي » وكان قد احتل أيضاً مدناً وقرى كثيرة وكان موته بسبب الفصد الذي أجراه له الأطباء ، وكان قد أرسل من قبل « القائم » العباسي لهذه الغاية ، أمّا « علي بن زكرويه » صاحب الخال وهو من دعاة القرامطة فقد فرّ من سواد « الكوفة » إلى اليمن وجمع صفوفه هنالك ، ثم قام بالزحف على البلدان والأقاليم فتغلّب على الكثير منها ، وأخيراً مات في اليمن قبل أن يتم مهمته ، وكل هذا يعني أن الحركة الفاطمية قديمة في اليمن ، وقبل وفود « منصور وابن الفضل » فهذان كانا متممان للبناء الذي أشاده غيرهما من الدعـاة الفاطميين المؤسسين .

ومهما يكن من أمر فإنه من المفيد أن نأتي بإيجاز على ما قام به الداعيان في اليمن ، وما تمّ على أيديهما من فتوحات ، ثم كيف انتهى أمرهما أخيراً ، وكل هذا له علاقة مباشرة بهذا الجزء من الموسوعة وبالجزء الذي يليه :

من المعلوم أنه بعد عامين من وصولهما أصبح لكل منهما

جماعة كبيرة تأتمر بأمره ، وتخلص له أشد الإخلاص ، وطبيعي في مثل هذه الأحوال أن يصبح هم كل منهما الحصول على الأموال الكافية لتنفيذ الأغراض ونشر المبادىء والأفكار ، والإستيلاء على المراكز الهامّة والمواقع الحسّاسة ، فأصدر « منصور » أوامره بجمع الأموال وفق الخطة المتبعة في المشرق لدى الفاطميين ، وهكذا فعل « علي بن الفضل » وبعد فترة قصيرة تمكن « منصور » من احتلال « عبر محرم » ثم جمع جمعاً من أتباعه واستولى على جبل « الجميحة » كما هاجم « بيت ريب » وهو رأس « مسّور » ثلاث مرات حتى استولى عليه ، وكانت هنالك خططاً مدبرة ، وكان يسير من نصر إلى نصر .

وجاء في التاريخ :

انه عندما استولى على جبل « مسور » من أعمال « صنعاء » كان معه ثلاثة آلاف محارب ، فبنى في هذا الجبل حصناً وجعله قاعدة لشن الهجمات على المواقع الأخرى ، كما أنه استمر في زحفه حتى استولى على بلاد « عيان » و « بني شاور » و « حملان » ثم على « ذخار » وملك « شبام حميّر » وجبل « كوكبان » وهنا أقبل عليه الناس يدخلون في طاعته طوعاً أو كرهاً ، فانضوى الكثير من « بني يعفر » و « ملوك حميّر »

في الدعوة طائعين أو كارهين ، وقويت في أرض اليمن دعوته الفاطميّة وعلت كلمته .

ولم يقف نشاط « منصور » عند هذا الحد بل أرسل جيشاً لمساعدة « ابن الفضل » حين أُحيط به قرب «تُهامة» وكان من أثر ذلك أن عاد « ابن الفضل » سالماً إلى قاعدته ، وكان قد احتل « لحج » و « أبيَن » ودخلت قبائل « مذحج » في طاعته وأخيراً احتل « المذيخرة » سنة ٢٩٤ هـ. ثم دخل حصن « التعكر » ومنه جاء إلى بلاد « يحصب » فدخل « منكث » ثم هجم على « صنعاء » ودخلها لأول مرة ٢٩٥ هـ .

وهكذا استمر « ابن الفضل » في فتوحاته حتّى دانت جميع بلاد « تِهامة » و « زُبيد » وفيها قتل عامل العباسيين يومئذٍ واسمه « المظفّر بن الحاج » ويصادف في هذه الأثناء أن يكون « عبيد الله المهدي » قد أعلن ظهور أمره في « سلمية — سورية » ، وهذا الإمام الفاطمي وضع ثقته « بمنصور »اليمني دون « ابن الفضل » فكان يخصه بكل عاطفة ويعطيه المسؤولية الأولى المباشرة عن الدعوة الفاطمية في اليمن معتبراً « ابن الفضل » دونه في المرتبة . فكلفه بإرسال الدعاة من قبله إلى الأقاليم . . . وهكذا بعث « منصور » ابن أخيه «الهيثم» إلى السند حيث استقر في « ملتان » وهناك غرس بذور الدعوة

الفاطميّة وقد استجاب له الكثير من أهلها ، كما أرسل « محمد بن عبدالله بن العباس » داعياً إلى مصر ووزع الدعاة في سائر أرجائها . وفي تلك الفترة بالذات أرسل الإمام الفاطمي « الحسين بن أحمد » إلى اليمن الداعي « أبا عبدالله الشيعي » فتدرّب على « منصور » لمدة ستة أشهر ثم ذهب بعد ذلك إلى المغرب وبرفقته « أبو الملاحف » الذي عاد لفوره بسبب مرض والدته ، فسيّر مكانه « ابراهيم بن اسحاق الزبيدي » وقد مرّ معنا أن الفاطميين قد أرسلوا في وقت مبكر إلى المغرب « أبا سفيان والحلواني » .

واستمر الداعيان « منصور » و « ابن الفضل » يعملان في اليمن بهمة ونشاط حتى أصبح الجزء الأكبر منه خاضعاً لنفوذهما .

وذكر التاريخ :

ان الإمام « الحسين بن أحمد » لمّا أرسل الداعي « أبا عبدالله الشيعي » إلى اليمن ليتدرب على أيدي « منصور » أوصاه بقوله :

« امتثل سيرته وانظر إلى مخارج أعماله ومجاري أفعاله فاحتذها — وامتثلها واعمل بها » فأقام عنده يشهد مجالسه

ويأخذ عنه ويخرج معه في غزواته وظلّ على مقربة منه لا يفارقه حتى تمّ أخيراً إرساله إلى المغرب ، وقد أوصاه « منصور » بقوله :

« ان أرض « كتامة » في المغرب قد حرثها « الحلواني » و « أبو سفيان » وليس لها غيرك الآن ، فبادر فانها موطأة لك ممهدة » .

ومهما يكن من أمر ، وللدلالة على أن اليمن كان لها أهمية كبرى بنظر الفاطميين هو أن « عبيدالله المهدي » حين غادر « سلمية ــ سورية » إلى المغرب فكّر وهو في الطريق بأن يذهب إلى اليمن ويستقر فيها ويجعلها عاصمة لدولته ، ولكن انحراف « علي بن الفضل » وخروجه على الدعوة الفاطمية جعله يعدل عن الفكرة ويتجه من مصر إلى شمالي افريقيــا .

ونعود لنذكر شيئاً عن مدى علاقة « ابن الفضل » بالفاطميين وأسباب تنكره لهم ... فالمصادر التاريخية تشير إلى أن علياً لمّا استقر في اليمن ظل على ولائه للدعوة الفاطمية في « سلمية ــ سورية » وقد كان يظهر التقشف والورع والتقوى ، فكان يبقى طيلة نهاره صائماً ، وليله قائماً فأنس

إليه وأحبه كل من عرفه ، وقلّده الناس الذين عرفوه أمرهم وجعلوا حكمهم إليه، وقد جاؤوا مرة طالبين إليه أن ينزل من حصنه في جبل « سروبافع » ويسكن بينهم فقال :

لا أفعل هذا . . . ولا أسكن بين قوم جهّال إلاّ بعد أن يعطوني العهود والمواثيق الاّ يشربوا الخمر . . . ففعلوا ذلك وأقسموا له على الطاعة ، وان لا يخالفوا له أمراً . . . وهكذا وعدهم خيراً .

من هنا نرى أن « ابن الفضل » ظلّ مدة في البلاد اليمن على الولاء للفاطميين قائماً بالعبادة الصحيحة مدة لا تقـل عن عشرين عاماً . . . ولكن التاريخ يعود فيتهم « ابن الفضل » بأنه أحلّ لاتباعه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات كما أظهر الديانة المجوسيّة ، وكفر بما أنزل الله عز وجل . . . فويل للتاريخ من أعداء الحقيقة وكتّاب التاريخ .

ومن المضحك المستغرب أنهم يروون هذه الأبيات ويذكرون أن شاعره خاطب بها الناس عندما فتح « ابن الفضل » « الجند » .

خذي الدف يا هذه والعبي
وغني هزاريك ثم اطربي

تولّى نبيٌّ بني هاشم
وهذا نبيٌّ بني يعرب

لكل نبي مضى شرعة
وهذي شريعة هذا النبي

فقد حطّ عنا فروض الصلاة
وحطّ الصيام ولم يتعب

فلا تطلبي السعي عند الصفا
ولا زورة القبر في يثرب

ومهما يكن من أمر فكل هذا بنظرنا لا يستحق الاهتمام أو المناقشة . . . فنحن تهمنا فتوحات « ابن الفضل » في اليمن ، وأسباب استقلاليته وخروجه على الفاطميين وتنكره لرفيقه في الجهاد « منصور اليمن » .

من المعروف أن « ابن الفضل » كان ذا شخصية بارزة وقائداً بارعاً وحاكماً ناجحاً ووطنياً متحمساً فخوراً بقحطانيته.. له سياسة حكيمة في السلم والحرب مضافاً إلى شهامته وإقدامه وكرمه ووفائه للعهود والمواثيق وحمايته المظلومين ونصرته مبادىء الحق ، ولم يستطع « منصور » أن يقلل من نفوذه أو يعزله عن الدعوة أو يطرده من اليمن وهو يعلم علم اليقين

ميوله الاستقلالية وآراؤه المتطرفة في الحكم ، بل على العكس كان مضطراً إلى مساعدته في حروبه وتهنئته على انتصاراته .

من جهة أخرى قد يكون بعيداً عن الواقع أن يقبل المجتمع اليمني المحافظ رئاسة « ابن الفضل » مدة عشرين عاماً لو أنه كان يرتكب ما نسب إليه من الفواحش وقد يكون قد بالغ في يمنيته أو تطرف في قحطانيته حتى تعدّى حدود الدين أو أن نفسه العالية أنفت أن ترضخ لحكم أحد أو تدخل تحت نفوذ أي كان ، ويجب هنا أن لا ننسى أن بيت الدعوة الفاطميّة كان بجانب « منصور » ويفضله على « ابن الفضل » بالنظر لقدمه في الدعوة وكبر سنه ، ولعل هذا هو أساس العداوة والانقسام .

أمّا مركز الدعوة الفاطمية في « سلمية-سورية » وبناء على توصيات « منصور » فإنها اعتبرته قد نكث بالعهد واستهواه الشيطان وأضله فخرج من الملّة وافترى على الله وعلى أوليائه مقتدياً بالمضلين من قبله الذين كانوا له شر قدوة ، واستمال الجهّال فكانوا له الأنصار والأتباع وارتكب المحارم ومال إلى الإباحات وكفر بعد إيمانه وباء بلعنة الله .

ولا يمكننا ونحن في معرض الحديث أن نقارن ما قام به

« ابن الفضل » بالنسبة لما قام به « منصور » الذي ظل على ولائه للفاطميين حتى وفاته يتصل بهم في جميع المناسبات ويتلقى أوامرهم ويستعين بإرشاداتهم متمسكاً بقوانين الدعوة مطيعاً لأوامر من هم أعلى منه رتبة قائماً بأداء واجباته المفروضة عليه من قبل دعوة آمن بها واعتقد بنزاهتها . . . وذلك بعكس « ابن الفضل » الذي ظل يخادع « منصور » ويماطله ويقول له:

إنما أنا سيف من سيوفك . . . « والمنصور » يهابه ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته وإقدامه . وتمشياً مع هذا المبدأ أظهر « منصور » فرحه لمّا فتح « ابن الفضل » « صنعاء » سنة ٢٩٩هـ ، فاجتمعا وتشاورا فيما يجب عمله بعد ذلك... وكان « منصور » حذراً ويقظاً يرى أن وقف الحرب والفتوح من قبلهما فيه مصلحة كبرى لهما . . . وكان يخاف على نفوذهما من الإنهيار فجأة مما يضطرهما إلى الدخول في حرب جديدة فتكون النتيجة خروج البلاد التي فتحوها من تحت أيديهما ، فقال لصاحبه « ابن الفضل » :

قد ملكنا اليمن بأسره ولم يبق لنا إلاّ القليل ، فعليك بالتأني والوقوف « بصنعاء » سنة . وأنا « بشبام » فليصلح كل واحد منا ما فتحه وبعد ذلك يكون لنا نظر آخر .

ولمّا وصل نفوذ « ابن الفضل » إلى هذا الحد ، وأضحى

سيد اليمن الأول أعرب عما يجيش في نفسه في رغبة ملحة في تكوين دولة يمنية مستقلة عن العباسيين والفاطميين معـاً كما فعل « أبو سعيد الجنابي » الذي كوّن أول دولة « قرمطيّة » مستقلة في « البحرين » . . . فكتب إلى « منصور » قائلاً :

« انّ لي « بأبي سعيد الجنابي » اسوة،وأنت إن لم تنزل إليّ وتدخل في طاعتي نابذتك الحرب » .

فكتب إليه « منصور » يعاتبه ويذكره بالعهود والمواثيق التي أخذها عليه الفاطميون كما ذكّره بخطر الإنقسام وقال :

كيف تخلع طاعة من ترَ خيراً منه ؟ فأجابه « ابن الفضل » قائلاً : « إنما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها » . وتابع « منصور » ارسال الرسل إليه يعظه ويذكره وينهاه ولكنه ظل على التمادي في إنكاره وتناهى في إصراره وكان هذا فاتحة الصراع بين الداعيين أو الإنذار الأخير « لمنصور » بأن يستعد للقتال ، فما كان منه إلاّ حصّن بلاده ولاسيما جبل « مسوّر » وعوّل على أن يلاقي الصدمة وحده ، وكان الخليفة الفاطمي الأول « عبيد الله المهدي » قد استقر بالمغرب ، ولكنه كان عاجزاً عن إرسال أية مساعدة « لمنصور » .

ونشبت أخيراً الحرب بين الداعيين فاستولى « منصور »

على « شبام حميَر » وحاصر بلدة « الظلمة » حيث كان « ابن الفضل » واتباعه ، وقطعوا عنهم الزاد حتى أصابهم الجوع الشديد . . . ويذكر التاريخ :

أن « ابن الفضل » اجتاز المحنة وقوى أمره فملك « صنعاء » وتمكّن بعد ذلك من محاصرة « المنصور » ثمانية أشهر فطلب الصلح . . . فقال « ابن الفضل » :

لست أبرح وقد علم أهل اليمن قصدي من محاصرته إلاّ بعد أن يرسل إليّ بعض ولده ، فيكون ذلك لي مخرجاً عند الناس ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي.فأرسل إليه ولده . . . ثم أن « ابن الفضل » عاد إلى « المذيخرة » وأقام عنده ولد « المنصور » مدة عام ثم انه رده فيما بعد إلى أبيه .

وهذا العمل لم يفض النزاع بل زادت هوة الخلاف اتساعاً ممّا مهّد لقيام ثورة يمنية ضد الطرفين .

والحقيقة : فإن « ابن الفضل » لمّا خرج عن طاعة «منصور اليمن » وتنكر للفاطميين كان قد تأثر بأفكار « القرامطة » وأراد أن يقيم دولة قرمطية في اليمن تكون رديفاً أو درعاً لدولة القرامطة الثانية ، ولكن مطامعه لم تتحقق وظلّ عـــلى مبادئه وحروبـــه حتى مات مسموماً سنة ٣٠٣هـ. بيد أحد الأطبـــاء .

وبعد وفاته زحف الأمير «أسعد بن أبي يعفُر» إلى «صنعاء» وحارب أتباعه وقتلهم واحداً إثر واحد ثم أرسل رؤوسهم إلى «مكة» حيث عدضوا في موسم الحج.

أمّا «المنصور» فظل أميناً على عهده للفاطميين، ولكنّ أمره قد ضعف فالتجأ إلى «مسور» وأقام مع أتباعه في الأماكن الحصينة النائية يدافع عن نفسه وأخيراً اتخذ مبدأ التقية والستر وظلّ هكذا حتّى وافته المنية سنة ٣٠٦هـ. وكان قبل وفاته قد أوصى برئاسة الدعوة إلى «عبدالله الشاوري» ولكن ولده حسن اعتقد أن هذا الأمر بعد والده صائر إليه تلقائياً فطلب من الخليفة «عبيدالله المهدي» تعيينه مكان أبيه ولكن «عبيد الله» رفض طلبه، وعين «الشاوري» الذي تتلمذ وتمرّن على يد «المنصور»، وهذا الاختيار حفز «الحسين بن منصور» على القيام بالخروج على الفاطميين وقتل «الشاوري» ثم جرّد جيشاً وأعمل قتلاً وتهديماً بالبناء الذي شاده والده، ولكن هذا الخروج شجع الأعداء فجاؤوا اليه وقتلوه كما أبادوا جميع الأسرة، ولم ينج منها إلاّ «ابن المنصور» الثاني «جعفر» الذي فرّ إلى القيروان واستقر فيها تحت لواء الخليفة «القائم بأمر الله» سنه ٣٢٢ هـ. ومن الجدير بالذكر أنه وصل إلى مرتبة عالية فيما بعد بعهد الخليفة

الرابع «المعز لدين الله» سنة ٣٤١هـ إلى سنة ٣٦٥هـ. ، ومما تجدر الإشارة اليه أنه كان في المغرب يكتب إلى أخيه يعيبه على ما فعل ويقول له :

«فكنتم وأنتم تهدمون وأبتني
فشتّان من يبني وآخر يهدمُ»

بعد هذه الأحداث تعاقب على رئاسة الدعوة الفاطمية في اليمن دعاة تسعة ، وهي الفترة التي وقعت ما بين عهد «منصور اليمن» وظهور الملوك «الصليحيين» الفاطميين في اليمن وهي فترة غامضة جداً في تاريخ اليمن وتمتد حتى عهد الخليفة الفاطمي السابع «الظاهر لاعزاز دين الله» الذي نتحدث عنه .

وهذه هي أسماءهم مع موجز عن حياتهم :

١ – «عبدالله بن عباس الشاوري» :

تمرّن على «منصور اليمن» . . . قدم على الخليفة الفاطمي «عبيد الله المهدي» في «القيروان» . . . قتله «الحسن بن منصور اليمن» سنة ٣٣٦هـ. وذلك بعهد الخليفة الفاطمي الثالث «المنصور بالله» عمل مدة في مصر ونشر فيها مبادىء الدعوة الفاطميّة بنجاح .

٢ — «يوسف بن موسى بن أبي طفيل» :

تولّى رئاسة الدعوة بعد الخليفة الفاطمي الرابع «المعز لدين الله» . . . قتله «ابراهيم بن عبد الحميد السباعي» .

٣ — «جعفر بن أحمد بن عباس» :

ذكر أنه ابن أخي «عبدالله بن عباس الشاوري» الذي ورد ذكره .

٤ — «عبدالله بن محمد بن بشر» :

كان داعياً في اليمن بعهد الخليفة الخامس «العزيز بالله» وهو من وادي «قطابة من قدم» .

٥ — «محمد بن أحمد بن العبّاس» :

هو من شاور ، وذكر أنه أخ «جعفر بن أحمد العباس الشاوري» وكان معاصراً للخليفة «العزيز بالله» أيضاً .

٦ — «هارون بن محمد بن رحيم» :

كان داعياً في اليمن بعهد الخليفة السادس «الحاكم بأمر الله» وقد أرسل إليه سجلاً سنة ٣٩١هـ. وربما يكون قد عاصر الخلفاء الثلاث : المعز والعزيز والحاكم .

٧ – « يوسف بن أحمد بن الأشج » :

هو من أهل « شبام حميّر » . . . كان من دعاة الخليفة « الحاكم بأمر الله » والمسؤول عن اليمن بعد هارون .

٨ – « سليمان بن عبدالله بن عامر الزواحي » :

هو من ضلع « شبام من حميّر » وكان مسؤولاً عن الدعوة في اليمن بعهد الخليفتين « الحاكم والظاهر » وقيل أنه أدرك الخليفة الثامن « المستنصر بالله » وكان مقره في حصن « كوكبان » .

ومهما يكن من أمر فإن هؤلاء الدعاة قاموا بأعمالهم ونشاطاتهم في القطر اليمني في عهد أطلق عليه المؤرخون اسم عهد الشدة والمحنة ، وفقدان المصادر والأخبار . . . ولا بد من القول : بأنهم كانوا يعملون بصمت وهدوء وقد ساعد على بقائهم طبيعة بلاد اليمن الجبلية الوعرة ، واتخاذهم الحصون المنيعة والجبال العالية وسيلة للتستّر والإبتعاد عن الأعداء ومكامن الأخطار ، وقد ظلّوا على هذا الحال حتّى انبثاق الدولة « الصليحية » الفاطميّة في اليمن على يد « علي بن محمد الصليحي » – رأس الأسرة الصليحية الذي بدأ عهده بزمن الخليفة

الفاطمي السابع « الظاهر لاعزاز دين الله » ثم عاصر الخليفة الثامن « المستنصر بالله » أيضاً .

ويذكر التاريخ :

أنه أقام دولة يمنية قوية على دعائم متينة من العلم والأدب والتنظيم ، وهذه الأسرة كتبت في تاريخ اليمن أنصع الصفحات واستطاعت أن تحكم اليمن بجميع أجزائه مدة قرن حكماً انموذجياً جديداً قائماً على أسس من العدالة والحرية والمساواة .. وكل هذا سنتكلم عنه في الأجزاء القادمة .

أحداث داخلية رهيبة

لم يستطع الخليفة « الظاهر لاعزاز دين الله » أن يضبط أمور دولته الفاطميّة ، أو يهدىء النفوس الشريرة التي استيقظت . وتجندت للعبث بالامن والاساءة إلى المجتمع والدولة . فكان نشاطها بداية عهد من الخراب والدمار تقوم به عصابات اتخذت لنفسها مهنة الفساد . فكانت تقتل وتغدر وتسرق دونما أي خوف مستغلة بذلك وفاة الأميرة «ست الملك» التي كانت قابضة بيد من حديد على زمام الأمور في الدولة داخلياً وخارجياً...وجاءت الأقدار لتزيد في الطين بلّة حينما هبّت الرياح الشديدة فصبّت جام غضبها على مصر ، وأصابت الشعب بنقص في الارزاق والغذاء ، وتنخفض مياه النيل ، وتتعطل الزراعة ، ويهاجر الناس إلى بلاد أخرى طلباً للرزق والعيش .

وهكذا شاءت الأقدار أن تضع العراقيل في وجه الخليفة الشاب الجديد وتشل حركته وتجمد هيبته ، وهكذا وقف أمام الأحداث واجماً حزيناً عاجزاً عن أن يفعل شيئاً .

وقد ذكر التاريخ :

أن الخليفة « الظاهر لاعزاز دين الله » افتتح عهده سنة ٤١١هـ بإقامة مأتم أبيه الحاكم ، فجلّل القصر الفاطمي بالسواد واستمر البكاء والعويل والندب طوال الليل كما أسبغ على المأساة الصفة الرسمية . . . وذكر أن بعد التولية التي حدثت في أول يوم من عيد الأضحى خرج لصلاة العيد وعلى رأسه المظلّة ، فصلّى في الناس ، وعاد فكتب للعمال والولاة يعلمهم بخلافتـــه .

كما انه ألغى القرارات وفيها التحريم الصارم التي كانت قد صدرت بعهد والده الحاكم ، ثم عاد إلى سياسة التسامح الفاطميّة التي سار عليها الخليفة « المعز لدين الله » و « العزيز » من قبـــل .

وبعد أن علم بموت « عبد الرحيم بن الياس » أحضر شهوداً وقضاة فشهدوا على أن الوفاة حدثت بطريقة الانتحار . وذلك حتى يكون بمنجاة من كل اتّهامات ، و « عبد الرحيم » هذا هو من أحفاد « عبيد الله المهدي » الخليفة الفاطمي الأول ، وكان « الحاكم بأمر الله » قد أوصى له بولاية العهد بالوكالة ليكون وصياً على « الظاهر » ، وامّا حادث الانتحار فقد

تمّ سنة ٤١٤ هـ. وفي ذلك العام أصبحت أسعار الحاجات الضرورية والمواد الغذائية لا تطاق كما تعذر وجود الخبز.

وفي سنة ٤١٥هـ. عيّن الخليفة «الظاهر» الخادم الأسود «معضاد» قائداً أعلى لجيوش الدولة وتلقّب بـ «عز الدولة» و «سنائها» و «أبي الفوارس» و «معضاد الظاهر»، كما منع الناس من ذبح الأبقار لقلتها، وعزّت الأقوات وقلّت البهائم كلها حتى بيع الرأس من البقر بخمسين ديناراً، وكثر الخوف في ظاهر المدينة وكثرت الاضطرابات، وفكّر زعماء الدولة بمصادرة التجّار فاختلف بعضهم على بعض وتعالى ضجيج الجند من الفقر والحاجة فلم يجابوا... وتحاسد زعماء الدولة وقبض على العميد «محسن» وضرب عنقه، واشتد الغلاء وفشت الأمراض وبرز الموت إلى الارجاء وفقد الحيوان الأهلي فلم يعثر على دجاجة أو فرخ حمام، وعزّ الماء لقلة الظهر... أي لم تعد هناك حيوانات للنقل، وذكر التاريخ:

ان ركب الحجاج خرج من القاهرة فقطع عليهم الطريق بعد رحيلهم في «بركة الجبر» الواقعة في الجهة البحرية من القاهرة... وقد أخذت أموالهم وقتل الكثير منهم وعاد من بقي ولم يحج أحد من أهل مصر، وتفاقم الأمر من شدة

الغلاء فقام الشعب بمظاهرة صاخبة وصلوا فيها إلى قصر الخليفة وكانوا ينادون :

الجوع . . . الجوع . . . يا أمير المؤمنين . . . لم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك . . . فالله . . . الله . . . في أمرنا .

وانتشرت الأمراض والأوبئة وانتشر الموت بين الأطفال لعدم وجود الأقوات وكثر الخوف من العصابات التي انتشرت في كل مكان تسرق وتنهب وتقتل في سبيل الكسب والدفاع ضد الجوع .

وذكر التاريخ :

ان الخليفة الظاهر عمل سماطاً بمناسبة عيد الأضحى فهجم العبيد على السماط وهم يصيحون . . . الجوع . . . الجوع . . . ثم أنهم نهبوا والتهموا كل ما كان عليه . أما الأرياف فقد أصابها موجة من الاضطرابات ، فقد نهبت وتجنّد العبيد لنهبها وسلب كل ما فيها كما قاموا بأعمال قبيحة ، واحتاجت الدولة إلى الأموال لسد العجز بعد أن فرغت الخزائن من الأموال التي صرفت على شؤون التموين .

وأذاع الخليفة « الظاهر » أمراً على الناس يقضي بقتل كل عبد يرونه في الطريق كما أنه جنّد فرقاً من الجيش لحفظ

الأمن والسهر على راحة الأهلين ولكن العبيد لم يهدأوا أو يستكينوا فاستعدوا للقتال وحفروا الخنادق ورابضوا في الدروب والازقة والشوارع فخرج إليهم قائد الجيش «معضاد» في عسكر فطردهم وقبض على الكثير منهم كما ضرب أعناق بعضهم، وقد عزا العبيد كل هذه التدابير إلى الوزير «الجرجرائي» وغيره من وجوه الدولة فهددوهم بالقتل مما حمل المسؤولين على طلب المزيد من الحراسة — كما امتنع بعضهم في منازلهم، وفي هذا العام هاجمت عساكر «ابن الجرّاح» منطقة «الفرما» ففرّ أهلها إلى القاهرة .

وفي سنة ٤١٧ هـ. ثار بمصر مرض يسمى مرض «الرعاف» أي سيلان الدم من الأنف فلم يستطع أحد أن يجد له علاجاً كما لم تعرف أسبابه ؟ وسقط الخليفة «الظاهر» عن فرسه ولكنه لم يصب بأذى ، فتصدق على الفقراء بمائة ألف دينار... وفي هذا العام أيضاً أمر «الظاهر» بطرد فقهاء «المالكيّة» من مصر بعد أن ازداد نشاطهم وأخذوا يتصدون في المساجد للمذهب الفاطمي ، وفي الوقت نفسه أمر الخليفة الناس أن يقرأوا كتاب «دعائم الإسلام» للقاضي النعمان بن حيّون وكتاب «مختصر الوزير» للوزير «يعقوب بن كلس» كما جعل مكافئات لمن يحفظهما جيداً .

وذكر التاريخ :

أن الخليفة « الظاهر » وقّع في هذا العام على معاهدة هدنة وصداقة مع امبراطور الروم « قسطنطين الثامن » وهكذا خطب له في القسطنطينية وأعيد جامعها إلى ما كان عليه ، وأرسل اليه من مصر إماماً ومؤذناً ، وبالمقابل أعاد « الظاهر » للروم كنيسة القيامة بالقدس وكانت مغلقة .

وفي نفس الوقت حصلت فتنة كبرى بين المغاربة والأتراك قتل فيها خلق كثير من الفريقين ، فاضطربت أحوال مصر والقاهرة من جرّاء ذلك ولم يستطع الجيش أن يطفىء نار الفتنة أو يعيد الأمن إلى نصابه .

وفي عام ٤٢٠ هـ. ولد « للظاهر » من زوجته السوداء ولده البكر فسمّاه « المستنصر بالله » وأقيمت الاحتفالات في كل مكان ووزعت الهدايا على الناس والأموال على الفقراء والمحتاجين . ومن الجدير بالذكر انه لم يمض على ولادته سوى ثمانية أشهر حتى بويع بولاية العهد ، وقد أنفق الخليفة « الظاهر » على تلك المباهج ما يجل عن الوصف .

ويعود الغلاء والنقص في المواد من جديد اي بعد مضي عامين كما تأخذ مياه النيل بالنقصان ممّا أعاد إلى الأذهان ذكريات الأيام العجاف .

وفي عام ٤٢٣هـ قتل « الظاهر » أحد الدعاة الذي ادعى الزور فثار أتباعه لمقتله ، وكادت تقع فتنة كبرى ، ولكن الخليفة سيطر على الموقف وتمكّن من اعتقال عدد كبير منهم .

وذكر التاريخ :

انه بعد ثلاثة أعوام من ولادة « المستنصر بالله » أركبه والده على فرس من القاهرة إلى مصر فزينت الطرقات والبنايات والشوارع ، فكان الناس يقبلون له الأرض ، وكان « الظاهر » ينثر الأموال على الناس وهكذا ولي العهد ، وذكر أن مصر لم تشهد مثل هذا اليوم .

وفي ٤٢٥هـ أرسل الخليفة « الظاهر » دعاته إلى بغداد وفارس فاستجاب لهم خلق كثير ، ولكن الأوبئة والأمراض عادت في هذا العام لتفتك بالناس .

وفي ٤٢٧هـ مات الخليفة « الظاهر لاعزاز دين الله » فجأة وكانت مدة خلافته خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر . وقد وصفه التاريخ بأوصاف ذكرناها وزاد عليها قوله :

بأنه كان ميالاً إلى شراء الجواهر واقتنائها . . . وكان مغرماً بمراسلة الملوك والعظماء . ومن المشهور عنه أنه أولى حرسه الخاص عناية فائقة فزوّدهم بسلاح خاص وثياب جميلة ، واستقدم الخبراء لتعليمهم سائر الفنون الحربية .

تطلعات فاطمية في المشرق

لا نستطيع أن نغض الطرف أو نتناسى نشاط الدعاة الفاطميين في عهد الخليفة « الظاهر » وخاصة في العراق وفارس ، وكل هذا يتصل اتصالاً مباشراً بموضوعنا ، ويشكل ناحية مهمة في هذا الجزء من الموسوعة .

لقد ازدهرت الدعوة الفاطمية ازدهاراً منقطع النظير في المشرق وخاصة بالعراق بعهد « الحاكم بأمر الله » وابنه « الظاهر » ، وعندما نعلم أن الفيلسوف « أحمد حميد الدين الكرماني » كان المسؤول الأول عنها هان علينا الأمر ووضح الطريق ، « فالكرماني » هو صاحب لقب « حجة العراقين » وأكبر عقلية فلسفيّة أنتجها العالم الإسلامي . وقد كنا ذكرنا في الأجزاء السابقة من الموسوعة مختصراً عن حياته ومؤلفاته ووفوده على مصر بأمر من الخليفة « الحاكم » عندما راج سوق الدعوة الإلحادية .

أما الداعية الثاني فهو « المؤيد في الدين ـ هبة الله الشيرازي » المعروف بمناظرته « لأبي العلاء المعري » وهذا الداعي الكبير لعب دوراً سياسياً بعهد الخليفة الفاطمي « المستنصر بالله » وسنفرد له فصلاً خاصاً في الجزء الثامن . . . والآن لا بد من القول :

بأن والده « موسى بن داؤد » كان داعي دعاة الفاطميين في اقليم فارس ، وانه كان على جانب كبير من عزة النفس والمكانة بين مواطنيه حتى أن الوزير الواسطي كان يزوره في منزله دون أن يزور هو الوزير في داره أو في مقر وزارته ، ويبدو أن ابنه « المؤيد » أخذ عن والده علوم الدعوة ، وهكذا شقيقه الثاني ، وان الوالد كان يهيء ولده البكر لهذا المنصب من بعده وقد ذكر التاريخ أن الداعي « موسى » أرسل إلى « الحاكم بأمر الله » كتاباً يطلب فيه تعيين ولديه في منصبه ... فكان جواب الخليفة ما يلي :

« وأمّا فتياك ، وما ذكرت انك تورثه لهما فذلك على ما يراه الإمام في وقته وحينه . . . الأيام تعد يا « موسى » ... والأنفاس تحصى والرد إلى الله تعالى وإلى وليّه أحق وأحرى... ولا تقولنّ لشيء أني فاعل ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله . . .

واذكر ربك إذ نسيت وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً » . وتذكر المصادر الفاطمية :

ان « المؤيد في الدين » ولد في « شيراز » سنة ٣٩٠هـ، وانه تدرَّج في مراتب الدعوة حتّى صار حجة فارس .

والحقيقـــة :

فإن الدعوة الفاطميّة ازدهرت في المشرق ازدهاراً كلياً بفضل جهود هؤلاء الدعاة ، ونشاطهم لدرجة أن الناس كانوا يتسابقون على الانتساب إليها والإنضواء تحت لواء الفاطميين فهذه العقيدة التي تقوم على أسس فلسفية استهوت بعض المستجيبين والعلماء فعملوا على الانتساب إليها بالرغم من أن دراستها والاضطلاع بها من الأمور العسيرة التي تتطلب وقتاً وجهداً كبيراً . . . أقول هذا وأنا على يقين بأن المعتقدات الفاطميّة الأصيلة لحق بها في مختلف العصور الكثير من الآراء الفاسدة والتحريفات المقصودة والنظريات الخاطئة وكان القصد من كل ذلك الإساءة إلى جوهرها وتشويه أصولها وأبعادها عن النهج السوي ، على أن كل هذا ظلّ بعيداً عن العقول المتنورة والأذهان اليقظة التي تعرف كيف تميز بين الغث والثمين .

فهذه العقيدة قديمة عاصرت القرون والأجيال ، واجتازت الحدود والابعاد فكانت غير محصورة في مكان أو موقوفة على زمان ، ومن الواضح لكل من درسها انها تقوم على أسس قديمة من المعرفة وعلى دعائم ثابتة من البيان المحجوب عن العامة . . . وعلى العموم فهي ارتفاع من حضيض الجهل إلى يفاع الاستبصار ، ونفاذ إلى قلب الحقيقة – البعيدة المنال – واستخلاص الحقائق من براثن الباطل والوقوف على الينبوع العذب والتفيؤ بظل المعرفة واليقين العقلي القاطع المعد لجلاء النفوس .

وليست الفاطمية بالعقيدة المتزمتة أو الرجعية أو المتعصبة بآرائها أو الملحدة بيقينها..إنها نظام فكري قائم بذاته،وفلسفة علقت بالأذهان بصعوبة ومدرسة جعلت هدفها السمو والارتفاع والانتهال من الفكر اليوناني النيّر الذي نهل منه « سقراط » و « أفلاطون » و « أرسطو » و « فيثاغوريوس » و «أفلوطين» وغيره من أعلام العلماء والفلاسفة ، ومن الفكر العربي الإسلامي الذي اضطلع فيه : « اخوان الصفاء » ، و «النسفي » و « الفارابي » و « ابن سينا » و « الطوسي » و « السجستاني » و « الكرماني » ، و « النعمان » و « الرازي » وجميع هؤلاء ساهموا بوضع أسس المعارف ، ورفعوا اسم الفلسفة عالياً حتى أصبح يطاول الجوزاء .

بعض ما قيل
في نسب الفاطميين

ذكر التاريخ :

ان هناك مجلّد كبير يشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين من تأليف الشريف المعروف « بأخي محسن » وهو : « محمد بن علي بن الحسين بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق » ويكنّى « بأبي الحسين » وقد عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري .

وقد ناقش هذا الكتاب وذكره « محمد بن اسحاق النديم » في كتاب « الفهرست » وعزاه إلى « أبي عبد الله بن رزام الطائي الكوفي » الذي عاش في النصف الأول من القرن الهجري . . . وذكر في كتابه انه ردّ على الفاطميين فقال :

هؤلاء من « ديصان » الثنوي التي تنسب إليه الثنويّـــة

وهي فرقة كانت تعتقد بوجود خالقين : أحدهما يخلق النور والآخر يخلق الظلمة . فولد لهذا الرجل ولد سُمّي « ميمون القدّاح » وإليه تنسب الميمونيّة وكان له مذهب في الغلو فولد له ولد سمّاه « عبدالله » وكان خبيثاً ماكراً أكثر من أبيه ، فهو أعلم منه بالحيل فعمل أبواباً كثيرة من المكر والخداع ضد الإسلام ، وكان عارفاً بجميع السنن والشرائع وجميع علوم المذاهب كلها ، وكان في الظاهر يدعو إلى الإمام « محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق » .

ومن المشهور عنه أنه ادعى مرة النبوءة فلم يصدقه أحد . وأصله من « الأهواز » ثم نزل « عسكر مكرم » وسكن « ساباط أبي نوح » فنال بعض المال ، وكان يتستر بالعلم والتشيع ، وصار له دعاة كثيرين . وأظهر ما هو عليه من التعطيل والاباحة والمكر والخديعة فثارت به الشيعة و «المعتزلة » ففرّ إلى « البصرة » ومعه رجل من أصحابه يعرف « بالحسين الأهوازي » فادّعى أنه من ولد « عقيل بن أبي طالب » وانه يدعو إلى « محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق » ثم اشتهر أخيراً أمره ففرّ هو و « الحسين الأهوازي » إلى « سلمية » من أرض الشام ليخفي أمره فولد له فيها ولد سمّاه « أحمد ».

ومات « عبدالله بن ميمون » فقام من بعده ابنه « أحمد »

في ترتيب الدعوة وبعث « بالحسين الاهوازي » إلى العراق فلقي « حمدان بن الاشعث » المعروف « بقرمط » في « سواد الكوفة » . . . الخ . . . الخ .

هذه الأقوال المتناقضة السخيفة كتبها شيخ علوي كان يعيش في كنف الدولة العباسية . . . اذن لا غرابة أن يصدر عنه هذا القول المدسوس طالما أنه كان يتقرب من العباسيين أو أن العباسيين أنفسهم يدفعونه للكتابة والطعن بأنساب الأسرة الفاطميّة ، ولعل الأموال التي دفعت له هي التي حرّكت ضميره لتزوير الحقائق ، والعباسيين الذين امتلأ قلبهم حقداً وضغينة كان يهمهم أن يتصدى أحد أقرباء الأسرة للطعن بنسبها وقد مرّ معنا قصة الشاعر « الشريف الرضي » والوثيقة التي أجبر على توقيعها .

لسنا في موقف الدفاع عن الفاطميين ، ولكنها حقيقة يجب أن تقال . . . وعلى القارىء الكريم الذي يريد المزيد من المعلومات عن هذا الموضوع الخطير . . . الرجوع إلى الأجزاء السابقة .

اعتقادات فاطمية

«هذا السجل أذاعه الدعاة على الاتباع بعد ظهور البدع ، وقيام الغلاة بدعوتهم الالحادية بعهد الخليفة« الظاهر » لاعزاز دين الله » .

روي عن الإمام « محمد بن علي بن الحسين — الباقر » أنه قال : بني الإسلام على سبع دعائم :

الولاية وهي أفضلها ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد . . . وهذه الحدود الشرعية لها في التأويل الفاطمي أمثال نذكرها فيما يلي :

فالولاية مثلها مثل «آدم» لانه أول من افترض الله تعالى ولايته وأمر الملائكة بالسجود له ، والسجود طاعة وهي الولاية . . . ولم يكلفهم غير ذلك .

والطهارة مثلها مثل « نوح » وهو أول مبعوث أرسله

« وأنزلنا من السماء ماء طهوراً » . وقال :

« وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان — ليربط على قلوبكم » .

وقد تقدم القول بأن الماء مثله مثل العلم ، فكما يطهر الماء الظاهر احداث الأبدان الظاهرة كذلك يطهر العلم احداث النفس الباطنة وأفاعها الرديئة — الموبقة . . . وأصل القول في الطهارة :

انها الطهارة من انجاس الأبدان في الظاهر . ومن أنجاس الارواح في الباطن لعلم .

ومن صفات الضوء اعتقاد النيّة فيه ، وقيل في ذلك أنه لا وضوء إلا بنيّة وكذلك في سائر الأعمال . قيل : لا عمل إلاّ بنيّة . . وقال النبي « محمد » :

« إنما الأعمال النيّات » . . . ومثل النيّة في الباطن مثل الولاية ، فمن لم يتول من افتراض الله ولايتهم لا يقبل له عمل ، كما لا يكون العمل عملاً يرجى قبوله إلاّ بنيّة .

أمّا غسل الوجه فهو أول الفرائض ، والوجه في التأويل الباطني مثله مثل النبي في عصره والإمام في زمانه ، فكل واحد

منهما به يتوجه أهل عصره إلى الله تعالى وهو وجه الله الذي يؤتى من قبله وفيه أمثال النطقاء السبعة وهي :

العينان ، والاذنان ، والمنخران والفم ، . . . وفيه الحواس الخمس وذلك السمع ، والبصر ، والشم ، واللمس ؛ لأن اللمس قد يكون باليد وبكل الجسد فيحس به كما يحس باليد . . . كذلك الناطق قد جمع الله تعالى فيه جميع الآيات لمنافع الدين والعباد . . . فمثل غسله في الباطن مثل الاقرار بإمام الزمان وبالسبعة النطقاء ، والسبعة الأئمة الذين يتعاقبون على الإمامة .

وعن غسل اليدين للمرفقين :

فباطن ذلك أن اليدين مثلهما مثل الإمام والحجة ، ويجري مثلهما كذلك فيمن دونهما من الحدود المزدوجة ، فغسلهما إلى المرفقين وهما منتهى حديهما إقرار ومعرفة بحدودهما من أولهما إلى آخرهما ، وغسل كل واحدة منهما بالأخرى مثله مثل إقامة باطن الحجة على ظاهر الإمام ، وإقامة ظاهر الإمام على باطن الحجة ، واعتقاد إيجاب أهل الظاهر والباطن والإيمان بهم ، وتصديق الظاهر للباطن ، والباطن للظاهر وشهادة بعضهما البعض .

وأمّا المسح على الرأس . . . فالرأس في التأويل هو الرئيس وكذلك هو في اللغة ، ورأس كل شيء أعلاه وأشرفه وأفضله ، والرأس مسكن للدماغ الذي فيه العقل ، فإن ذهب هلك صاحبه ، ومثل الرأس في الباطن مثل الاقرار بصاحب الشريعة « محمد » والتمسك بشريعته وسنته .

وأمّا غسل الرجلين والمسح عليهما ، فالمسح هو الواجب ، فعلى الرجلين يقوم الإنسان ، وهما يحملان الجسد ويثقلانه ومثلهما أيضاً مثل الإمام والحجة فهما ينهضان بعالم زمانهما ويحملان ثقله وينقلان أهله على مراتبهم ويصرفانهم في أمور الدين إلى حيث يتوجهون وذلك يقع على من دونهما من الحدود المزدوجة إلى الداعي والمأذون وكل منهما يحمل أمور الخلائق ما حمّله الله عز وجل .

والمسح على الرجلين هو الاقرار بالإمام وحجته ومعرفة الواجب لهما ، والغسل الطاعة والمسح هو الاقرار ويكون هذا بجارحتين . . . قول باللسان واعتقاد بالقلب .

وصايا الخلفاء للدعاة

على الدعاة أن يبدأوا بإصلاح أنفسهم ، فهم أحق الناس بالورع والصلاح والتقوى والعفاف والعمل بكل صالحة واجتناب كل مكروه . . . وهذا باب يدخل فيه جماعة المؤمنين لقول الإمام « جعفر بن محمد الصادق » لكافة شيعته ممن تطلق له الدعوة :

« كونوا لنا دعاة صامتين » ثم بيّن ذلك واخبرهم أنهم إذا عملوا صالحاً علم الناس أنهم يعملون الخير فدخلوا في جملتهم وكانوا دعاتهم بأعمالهم لا بألسنتهم ، وكل مؤمن يعمل الخير فهو داعٍ إلى الأئمة الفاطميين ولكن سبيله ما حد له . . . فلا ينبغي أن يتجاوزه أو يقصر عنه ، فرأس أمر الدعاة إلى أولياء الله ، وسيد أعمالهم وقطب أمورهم صلاح أنفسهم بالدين الصادق والورع الحاجز والدعاة بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة .

ثم ينبغي للداعي اختيار أمر من يدعوه وتعرّف أحوالهم رجلاً رجلاً وتمييز كل امرىء منهم ، ومعرفة ما يصلح له أن يؤتى إليه ويحمله من أمر الله وأمر أوليائه ومقدار ما يحمله من ذلك ومدى قوته وطاقته ومتى يوصل ذلك إليه وكيف يغذوه به وامتحان الرجال وتعرّف الأحوال ومقدار القوى ومبلغ الطاقات ، وعلم ذلك هو أفضل ما يحتاج إليه الدعاة في باب السياسات والرياضات ، فكثير ما يفسد أمر الداعي من جهله بهذا الباب ، وان فساد دعوته تأتي من هذه الجهة ، وقد يعترف من يجوز عليه التضييع من الدعاة ، وينفق عنده منهم وتجوز عليه الحيل من الفساد في أمره ، والخلل في دعوته ما يطول القول بذكره .

فينبغي للداعي أن يحكم أمر هذا الوجه من نفسه ، ويكون أسبق أهل دعوته به وأقربهم منه وأحقهم بفوائده ، من حسنت نيته ، وصفت طويته، ورقّ ذهنه ، وصحّ اعتقاده ، وجاد عقله ، وملك سره ، وقام بغرضه ، ما كان ممّا كثر أو قلّ شرف عند الناس من كانت هذه حاله ، أو انحطّ لديهم أو صغر أو كبر عندهم الاّ أن يحتاج الداعي إلى استمالة الأشراف في حال ما يستميلهم ، كما تستمال المؤلفة قلوبهم على مقدار أحوالهم ، فإن التقريب على الدين والتفضيل به والترفيع لأهله أقرب إلى اغتباط الناس به ودخولهم فيه .

وينبغي للداعي أن يتهيّب عند أهل دعوته ، وان لا يعوّدهم الجرأة عليه ولا يبسطهم كل البسط لديه ، فيهون عندهم ويصغر أمره لديهم ، فإنه كلما كان أهيب عندهم كانوا أكثر انتفاعاً به وأحرى عنده، وليكن تهيبه ذلك بحسن الصمت ، وخفض الجناح ، ولين الجانب ، وحسن العشرة ، وجميل المخالفة من غير تجبر عليهم ولا تكبر في أمره عليهم ، بل يكون التواضع سيماه ، والوقار همته .

وقد جاء عن الإمام « جعفر بن محمد الصادق » انه قال :

« اطلبوا العلم وتزينوا معه بالوقار والحلم ، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولمن تعلمونه ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقكم » وقال :

« من طلب العلم ليدافع به العلماء ويجاري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه ويتكبر عليهم ، فليتبوأ مقعده من النار . . . ان الرئاسة لا تصلح إلاّ لأهلها » .

فينبغي للداعي أن يكون مهيباً في غير تكبر ولا صلف ، متواضعاً لا لمهانة ولا لضعف ، فإن اجتمع له أمره واستحكم واتصل له مراده وانتظم وعده في أهل دعوته وعظم فليحسن إلى محسنهم ويقربهم على درجاتهم وينزلهم على طبقات اعمالهم ،

واجب الولاة والحكام

ذكر التاريخ :

ان رهطاً من قبيلة «كتامة» المغربية دخلوا على الخليفة الفاطمي «المعز لدين الله» فقدموا أعمالهم ، وهم كانوا أحداثاً نشأوا في دولته ، ومضى آباؤهم وأجدادهم في الائمة من قبله فأثنى عليهم خيراً وقال :

«أما والله لو تعلمون ما لكم ولجميع أوليائنا عندنا من الرضا والمحبة لاستفزتكم المسرة . وما نعرض عمن نعرض عنه منكم ونعاقب من نعاقبه الا تأديباً وتقويماً لكي يزدادوا من الفضل والخير . . . ولو علم آباؤكم ومن مضى من أسلافكم قبل أن يموتوا ما لحقهم فيكم من بعدهم لتمنوا الموت في أيام حياتهم ، لما تطيب به أنفسهم لكم من بعدهم إذ كانوا في دون ما أنتم فيه في أيامنا ، وان كان الائمة لم يتركوا في الإحسان إليهم فلم يبلغوا معهم ما بلغتم أنتم اليوم معنا ،

ولكل زمان حال توجبها الحكمة ، ويجري فيها بالعقوبة والرحمة . . . انّا والله ان قتلناكم . . . فما نريد الاّ الحياة الدائمة إذا وجب تطهيركم بالقتل في العاجلة . وان عاقبناكم بدون ذلك حنقاً فما نعاقبكم عليكم ولا مقتاً وبغضاً لكم ، ولكنا نفعل ذلك بأيدينا تطهيراً لكم ، وان عفونا عنكم وأحسنا إليكم فنحن أهل العفو والإحسان ، وأنتم والله معنا في كل الأمور وعلى جميع الأمور كيفما تصرفتم ، وجرى تدبيرنا فيكم على سبيل النجاة . والخير والسلام والغبطة ، فاعرفوا حقنا وفضلنا ، وسلّموا لحكمنا وأمرنا ، ولا ترتابوا فينا ، ولا تشكون فيما نأتيه ونذره من أمركم . كيفما جرت الأحوال بكم معنا تسلم صدوركم . وتظفروا بحظكم في الدنيا والآخرة .

فشكروا له بما قدروا عليه ، وقبّلوا الأرض بين يديه وقالوا :

نحن يا أمير المؤمنين عبيدك وصنائعك والمعترفون بفضلك ، فما أصبناه بتقويمك وتأديبك ، وما أخطأنا فيه ، فنحن نرجو رأفتك ورحمتك فقال :

« يعصمكم الله من الخطأ بتأديبنا وتقويمنا . إذ لا نرى

لأحد منكم ذلّة إلاّ نبهناه ، ولا غفلة الاّ أيقظناه ، ولا تخلفاً الاّ حركناه ، ولا تقصيراً الاّ وعظناه ، فليس يهلك مع هذا الاّ الشقي الذي غلبت عليه شقوته ، والله يعيذكم من الشقوة بولايتنا ، وجميل رأينا فيكم .. ان شاء الله تعالى » .

والخلاصة :

فإن الفاطميين وضعوا نظاماً خاصاً لدعوتهم يقضي بالاعتماد على أنصارهم الموالين لهم ، وكان اهتمامهم بحكم الولايات والأقاليم اكثر من اهتمامهم بالحكم المركزي لأنهم كانوا يدركون بأن رفاهية دولتهم وعظمتها إنما تقوم على استتباب الأمن والنظام في الأقاليم ، ومن مظاهر الحكم في هذه الولايات الاستعانة بأبناء أنصار الدعوة الأوائل ، وأخذهم بالشدة إذا أهملوا أو أساؤا ، وتشجيع المحسن منهم بترقيته ومكافأته ، وبهذا استطاع الفاطميون أن يشعروا الولاة بالخوف ، وبأملاء نفوسهم بالرجاء .

أجل ... كانوا يتقربون إلى أبناء الأنصار فعمدوا إلى تعيين جماعة من الشباب في المناصب التي كان يشغلها آباؤهم الذين لهم فضل في حكم بعض الولايات وذلك ليحيي فيهم إخلاص هؤلاء الآباء لدعوته ودولته ، ويستغل ذلك الاخلاص

في استتباب الأمن في البلاد ... وقد اطلعنا على نص زوّد به الخليفة «المعز لدين الله» عمّاله وحكام الاقاليم ..؛ يقول فيه :

إذا أردنا أن تصل عوارف آباءنا من أسلافكم فيكم ، ونحيي ذكرهم بكم ونلم شعثكم ، ونرفع من حالكم فكونوا حيث نريده منكم ونقدّره من الخير فيكم ، فأعينونا على ما أردنا من الخير بكم بصالح أعمالكم وحسن نياتكم وطوياتكم فانّا نقدر على تغيير حالكم ، وسد فقركم ، وأن نغنيكم ولا نقدر على إصلاح ما تفسدونه من أنفسكم إذ أنتم لم تقبلوا على أمرنا إياكم ، ووعظاً لكم ، فما السعيد كل السعيد الاّ من قبل عنا ، وامتثل أمرنا وأطاعنا ، ولا الشقي الاّ من خالفنا وارتكب نهينا ، وما نريد بكل ما نفعله فيكم ممّا تحبونه ، أو تكرهونه ، وتعرفونه أو تنكرونه الاّ صلاحكم والخير لكم في دنياكم واخراكم . ان أحسنا إلى من نحسن إليه منكم ورفعنا من نرفعه ، وأنعمنا على من ننعم عليه ، فما نريد منه بذلك الاّ أن يعرف فضلنا فيشكره ويعمل من صالح العمل ما يستدعيه ، ويمّري منا المزيد عليه ، ويصل إلى رضوان الله ويرضى بنا عنه ، وان عاقبنا من نعاقبه، فما نعاقبه الاّ تأديباً له ، وليرجع عما أنكرناه عليه ونقمنا

من أمره إلى ما يرضي الله تعالى عنه ويرضينا منه فيسعد بذلك في الدنيا والآخرة . وان قتلنا منكم من نقتله ممن يجب القتل عليه ولا يسعنا أن نبقيه فما ذلك منا فيه إلا تطهيراً له وتمحيصاً للذنوبه ، وكل ما تجري أمورنا به فيكم فهو صلاح لعامتكم .

من هنا نرى : أن الفاطميين عملوا على اشعار عمالهم وحكام الأقاليم والموظفين الكبار بالقوة واللين في وقت واحد ، وأدخلوا في روعهم أنهم يرقبون أعمالهم ، وجعلهم يؤمنون بأنهم هم والخليفة انما يعيشون لاسعاد العامة وحمايتهم ، وأهم من ذلك انهم أرادوا أن يجعلوا العامل يشعر بتبعيتـه وخضوعه للدولة سواء أكان ذلك في حالة الرضا أم السخط عليـه .

وليست هذه دكتاتورية ممقوتة ، وإنما هي القوة في الحق إذ أن رغبتهم كانت تتركز على الابقـاء على العامل الصالح ، ونبذ العـامل الفاسد الذي لا يزجره النصح ولا يردعه الترهيب أو التخويف .

والفاطميون لم يكونوا يؤمنوا بمبدأ الوراثة في اختيار العمال بل كانت الكفاءة هي المؤهل الوحيد لحكم الولايات والأقاليم على أنهم كثيراً ما كانوا يرغبون منح المكافئات لأبناء المخلصين لهم عندما يتوسمون فيهم القدرة والكفاءة .

خاتمة المطاف

في الحقيقة :

ان المصادر التاريخية عن حياة الخليفة الفاطمي السابع « الظاهر لاعزاز دين الله » قليلة ونادرة ، والمدة التي قضاها في مقعد الخلافة كانت قصيرة لهذا جاءت الأخبار عن تلك الفترة قليلة وموجزة .

ومهما يكن من أمر فنستطيع أن نقول :

ان هذا الخليفة كان سيء الحظ ... ففي بدء حياته حرمه الدهر من والده ، وعندما تسلم شؤون الخلافة قيّض الله له « العمّة » النابهة « ست الملك » فعملت كل شيء في سبيل المحافظة على ملكه ، ولكن لم تلبث أن ماتت تاركة الشاب وحده في الساحة يقارع الأحداث بمفرده ويصارع العوامل الطبيعية التي صبّت جام غضبها على أهل مصر ... ولم يكن لديه أعواناً يركن اليهم في الشدائد — لذلك وقعت

الدولة في أتون جحيم من المصائب ، فاختل الأمن ، واستيقظ الا بيد ، ونشط اللصوص ، وقلّ الماء ، وعزّ الغذاء ، وارتفعت الاسعار ، وعمّت الفوضى مما جعل الخليفة الشاب يفقد كل أمل ورجاء .

والحقيقـــة :

فإن الدولة الفاطمية في عهد الخليفة « الظاهر » كانت أشبه بجسم تعروه نوبات عصبية من حين لآخر ، أو شجرة هرمة تهب عليها العواصف كلما تلبّدت السماء بالغيوم فتزعزعها وتهددها بالموت . . . وصاحب المرض عندما تطول عليه العلّة وتعاوده النوبات يصبح في حالة قبول هذه النوبات وقد يظن أنها تفرج عنه ، أو أنه سليم من كل خطر على حين ان كثرة آلامه ، والأدوار العصبية هي أشد ظهوراً في ألم الجسم ، وإذا تكررت على المصاب يصير إلى العجز فلا يستطيع أن يدفع ضراً ولا أن يجلب خيراً .

فكان الناظر من بعيد للدولة الفاطمية في ذلك العهد يظن انها قويّة ، ولكن من الواضح أنها كانت إلى الضعف أميل وذلك لكثرة ما استحكم فيها من أمراض عضالة وساورها من أوجاع مؤلمة . . . لقد كانت تعلو وتسفل ، وتطفو وترسب

فهي كريشة في مهب الريح ، فهذا هو جيشها وعمالها وشعبها جميعهم قد فقدوا الصواب وأصابهم الانحلال الخلقي . . . فالجيش يتمرد على الرؤساء ، والزعماء يقعون في أتون المنازعات والمنافسات ، والولاة في الأقاليم بينهم وبين شعوبهم أودية ووهاد وفواصل ، والوزراء في دورهم يمرحون ويسرحون فلا يهمهم إلاّ أنفسهم ، والمجتمع يسير في طريق مظلم يكمن فيه الجهل والغرور . . . وباعتقادي : ان كل هذه دلائل وإشارات تدل على أن الدولة قد وصلت في تلك الفترة إلى مرحلة الشيخوخة .

أجل . . . كانت الدولة الفاطمية في عهد الخليفة « الظاهر » تمر في مرحلة الانتقال من عهد الشباب والازدهار إلى عهد الشيخوخة والفناء . . . فهذه الدولة التي نشأت صغيرة وتوسعت حتى أصبحت في طليعة دول العالم . . . هذه الدولة التي تولى أمرها منذ البدء خلفاء كان همهم إصلاح رعيتهم وترقيتهم فكرياً ، والسير بهم في مضمار التطور ، والرقي ، والحضارة ، وتوحيد كلمة العالم الإسلامي . . . هذه الدولة ربما كانت العوامل مجتمعة قد استيقظت لتنهي أمرها وتقضي على معالمها ، وتأتي بدولة أخرى مكانها تكون أكثر حظاً وأوفر نشاطاً . . . فللدول أعمار كما للإنسان .

لقد سار الفاطميون في حكمهم على قواعد منهاج متطور ... كان فكرهم يخطط لضم الأقطار الإسلامية إلى دولة واحدة ، وإعادة مجد العرب إلى ما كانوا عليه في آخر عهد صاحب الرسالة المحمدية ... ولكن العوائق برزت قاسية عنيفة ، والعواصف هبّت عاتية هوجاء فأثارت النفوس ، وأيقظت الحروب والثورات مما جعل الفاطميون يقفون عاجزين عن تنفيذ برنامجهم الكبير .

وأخيراً :

زالت تلك الدولة سنة ٥٧٦هـ. ولكن الدول التي جاءت بعدها لم تستطع أن تجاريها ، أو ان تقدم للحضارة ما قدمته .

فهرست المواضيع

مصادر البحث التاريخية

تاريخ الدولة الفاطمية — حسن إبراهيم حسن ١٩٥٨ .

الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية — حسن إبراهيم حسن ١٩٣٢ .

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي — حسن إبراهيم حسن ١٩٤٦ .

النظم السياسية بالاشتراك مع علي إبراهيم حسن — حسن إبراهيم حسن ١٩٣٩ .

عبيد الله المهدي بالاشتراك مع طه أحمد شرف ١٩٤٥ .

المعز لدين الله بالاشتراك مع طه أحمد شرف ١٩٤٧ .

كنوز الفاطميين — زكي محمد ١٩٣٧ .

تاريخ جوهر الصقلي — علي إبراهيم حسن ١٩٣٣ .

في أدب مصر الفاطمية — محمد كامل حسين ١٩٥٠ .

الصليحيون — حسين همذاني .

النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق – محمد جمال سرور ١٩٥٧ .

افتتاح الدعوة – النعمان بن حيون – .

المجالس والمسايرات – النعمان بن حيّون – .

الهمة في آداب أتباع الأئمة – محمد كامل حسين ١٩٥٠ .

عيون الأخبار – إدريس عماد الدين – .

مجموعة الوثائق الفاطمية – جمال الدين الشيّال ١٩٥٨ .

الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية – محمد عبد الله عنان ١٩٣٧ .

نظم الفاطميين ورسوطهم في مصر – عبد المنعم ماجد ١٩٣٧ .

السجلات المستنصرية – عبد المنعم ماجد ١٩٥٤ .

الإمام المستنصر بالله الفاطمي – عبد المنعم ماجد ١٩٦١ .

الحاكم بأمر الله المفترى عليه – عبد المنعم ماجد ١٩٥٩ .

نظم الحكم في مصر الفاطميين – مصطفى عطيه مشرفه ١٩٤٨ .

سيرة جعفر الحاجب – و . إيفانوف ١٩٣٠ .

صلة تاريخ الطبري – غريب بن سعد – .

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة – الباقلاني ١٩٣٩ .

رسائل الحاكم بأمرالله كتب سنة ٤٠٨ هـ . (مخطوطة)

عبقرية الفاطميين ـ محمد حسن الأعظمي ١٩٦٠ .
اروى بنت اليمن ـ عارف تامر ١٩٦١
الناصر لدين الله الاموي ـ سيمون حايك ١٩٦٢ .
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ـ المقريزي .
نظام الوزارة في العصر الفاطمي ـ مقالة في مجلة الثقافة ـ جمال الدين الشيّال ١٩٥١ .
أصل الذمة في العصر الفاطمي ـ مقالة في مجلة المقتطف ـ جمال الدين الشيّال ١٩٤٥ .
البيان المغرب في أخبار المغرب ـ ابن عذارى .
سيرة الأستاذ جوذر الكاتب ـ محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيره .
أخبار ملوك بنو عبيد وسيرتهم ـ فوندر ـ ليدن ١٩٢٧ .
معجم البلدان ـ ياقوت الحموي .
تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري .
تقويم البلدان ـ أبو الفداء .
كتاب البلدان ـ اليعقوبي .

المصادر الأجنبية

The Alleged - Founder of Ismaïlism - Bombay - W Ivanow - 1946 .

The Origins of Ismaïlism : B. Lewis .

The Quaddahid Legend : Abbas Hamdani .

Mémoires sur les Quarmates de Bahrein et les Fatimits - Leyden - 1886 (De Goeje)

Polimics on the origin of the Fatimis - Caliphs - (Prince - Mamour - London 1934) .

Fatimid - Degrees - Stern - S.M. London .

Quelques Chroniques Anciennes aux derniers Fatimides 1937 .

L'impérialisme des Fatimides et leur propagande (1942-1947) .

Essaie sur l'histoire des Ismailiennes de la Perse : (Defremery, M.C.)

Fragments relatif à la Doctrine des Ismailis Hamdani , Paris , 1874 .

Studies in The Early Persian Ismaïlism - Leyden - 1948 .

The rise of the Fatimids - (Calcuta,) 1942 .

A Guide to Ismaïli Literature:London,1933. W.Ivanow

A short history of the Fatimid Khalifate - London (1923).

Description du Maghreb — Leiden 1860.

The letters of Al Mustansir — School of oriental E o f London 1934.

nquète aux pays du Levant — « M. Barrès ».